الزنجي اللعين

إسم الـــكـتـاب : الزنجي اللعين

إسم الكـــاتـــب : مصطفي نمر

تصميم الغـــلاف : عبدالله عباس

تدقيق لـــغـــوي : فاطمة هاشم

رقـــم إيـــداع : 2022-8115

تـــرقيم دولـــي : 978-977-6982-21-5

شارك سطورك مع العالم

الزنجي اللعين

مصطفي نمر

The Writer Operation

شارك سطورك مع العالم

الإهداء

الإهداء كذبا، كل تلك الهدايا من السطور التي تجدها في أوائل صفحات الكتب، هي مجرد خُدعٍ من الكاتب لينقلك إلى عالمه بصمت وهدوء، ولأني أكبر المخادعين، فسأجعله في الصفحة التالية

إهداء

لن أهديه لأحد.

مقدمة

استَعد.. فروائحُ الدخانِ شائعةٌ.. وإني لأرى الرماد يتطايرُ فوق رؤوسنا.. هُناك مدينةٌ بداخلِ هذا الكتابِ يقطنها زُنجيٌ لعين، يعبثُ بالكل متى أراد، احذر أن تتفوّه بشيءٍ دراميٌّ فإنّهُ يعشقُ دماء المُهرّجين

الفصل الأول

" تلعثُماتُ دراميّةٌ "

"إبحارٌ في فضاءاتِ فوضَى عارمةٍ أنشأها خيالي علّكَ تستطيعُ ترتيبها"

هيا بنا إن كنتَ كذلك

عالَمي

ولأني سعيد أودّ أن أكتب لكم طرائقي الشجية لتبتهجوا قليلا بكآبتي أيها السفهاء، مهما كانت حالتي جيدةً وفي تكملة الانشراح، فلا أود أن أخبركم بها، فقط لتبحثوا برغبتكم عن ما يسعدكم، فأنا في أوَجّ الحاجة لذرات سعادتي، وقد لُعنت من البشر لأني تعيساً ولا أحمل حتى خردلةٌ من البشاشة في جدران ملامحي، أعيش على أحزاني وأتغذى من أشجاني ولم يسلفني أحد ذرةً من السعادة يوماً، حتى وجدتها اليوم بنفسي بعد كدٍ ومشقةٍ دامت نصف عمري تقريباً، لذا أود أن أُعْلِمَكم بأن لا ترجو مني شيئاً جميلا بلا مقابل، فما يُعطى بغيرِ مقابلٍ لا يُكَنّ له اهتماماً

ولأنك اقتنيت هذا الكتاب، فلابد من أنك ستحتفظ به وتتمعن بما يحتويه، ليس من اجل المعرفة فقط..! بل من أجل ما أنفقته أيضاً لكسبه، لذا اقترب مني قليلا لأخبرك شيئاً سرياً، سرياً للغاية

"احتفظ بأشيائك الجميلة وحدك ولا تخبر بها بشراً»

البشر يا صديقي دوماً مفسدون، ومجتمعي هذا لا يتقبل الصالحين أبداً، لا تبحث عن الأتقياء هنا، وإن كنت ستصغي لي دون سخريةٍ

فلا تدخل هنا أبداً إن كنت ورعاً فقد تتسرب إليك القذارة ببطء وتصبح دنساً مقزّزاً، فتصْطحِبُ معك أحداً ما إلى ديارك بحجة أنه أحد الصالحين، وتفسد مجتمعك أكمله

تلوث ما قد كنت ترجو طهارته وتقدس ما كنت تخشاه

أرجوك الابتعاد قليلا عن عالمي، فعالمي مليءٌ بالكثير من الفوضى والانتهاكات التي تمجدها القوانين

عالمي مليءٌ بالغلاظة والشكاسة التي يواريها السكون

فلا تخدعك المظاهر يا سيدي

عالمي جنونيٌ من نسبٍ ملعون

"الزنجي اللعين"

في يومٍ بائسٍ صيفيٍ مُبيَضٌّ من حرّ الشمسِ كورقِ هذا الكتاب، التقيتُ بشابٍ تائهٍ يبدو عليه الكره والإرهاقُ من البشرِ، رآني أجلُسُ في مظلةِ انتظارٍ ما، ممدداً فيها رجلَيَّ، أميلُ قبعتي نحو جبهتي قليلا، رافعاً رأسي.. أتأملُ دخان سيجارتي الذي يتطاير من فمي وأنفَيَ ويُنشأُ سُحُباً رماديّةٍ.. تصطدم بإعصار الرّياح فلا يبينُ لها أثر

جاء إلى راكضاً بغيرِ سلامٍ، جلس محتكا بي يستحلفني بالرب أن أعطيه نفساً من سيجارتي التي أقسمتُ له أنها آخرُ ما تبقى، أعطيته إياها، وبعد أن أكملها حيّاني وبدأنا بالدردشةِ وبعد أن تعرفتُ عليه سألني من تكون؟؟

أنا: أتريدُ أن تعلم من أنا؟

هو: نعم

فقلت له: أنا فتى زنجي انتمي لوطنين من أمٍ واحدة

ولدت بإحدى ضواحي وطني الأول في قريةٍ صغيرةٍ تتبع لمنطقةٍ ما

يزعم أبي أني ولدت في الأول من يناير 1999

لكن أمي تخبرني بأني ولدت في الرابع عشر من فبراير بنفس تلك السنة، وأبي اختار ذاك التاريخ فقط ليدمج مولدي بميلاد وطني الثاني

ليحتفل كل عام في نفس اليوم بعيدين، الأول عيدي والثاني عيد أو ذكرى استقلال وطني الثاني

لا أدري ماذا يعني لكنه ربما رأى ندبات اللعنة في عيناي أو ربما رأى أنى تأخرت بعد ميعاد ولادتي بشهر فأضافه

أو رأني لا أستحق شهر الحب ذاك، وخصوصاً ولادتي في ذات اليوم الذي يُقدس فيه الفالنتاين فقد كان أبي رجلا سُنيا يكره الأساطير الرومانية

والأحرى أنه خشي أن يحتفل بميلادي ويظنه الناس محتفلا بالفالنتاين، فحول تاريخي، من عيد حب الفالنتاين إلى عيد حب الوطن

لكني ضللتُ الطريق بغفوةٍ ليست إرادية

فلا أحببت وطني، ولا اصطفاني الحب

ظلت مشردا أطوف البلاد من وطن إلى أخر، يهجرني الجميع ولا يرافقني أحد، يكرهني الناس بلا سبب

لذا قررتُ أن أنتقم لروحي من تلك الاتهامات وأخلق لنفسي حجةً يكرهني الناس بها

فصرتُ فتى شيطانياً سفاحاً أقتلُ كل من يعترض لحاجتي، و أذبح كل من يُخطط لندواتِ الشرّ

هو: ما اسمُك؟

أنا: لقد أسماني أبي قديماً «مبارك".. لكنهم يدعوني ب» الزنجي اللعين»

هو: يا للهول، ولماذا هذا الاسم الفظيع؟؟.. لكن صدقني يبدو أنه يليقُ بقذارتكَ كثيراً

أنا: هو لا يليقُ بي، أنا من خلقتُ مني شبهاً له

أتدري لماذا سموني به..؟؟

هو: لماذا؟.

أنا: لأني لا أتردد في كشف نوايا البشر السيئة كما لا أتردد في قتلهم، ولا أبوح لأحد بكشفيَ سراً إلا بعد قتل صاحبه، لأن الغرض من رحلتي لتبيين ذلك الخبث هو إحراقه

لهذا يهرب الكثير عندما آتي، أو يروني ماراً بالطريق، ولهذا السبب أصبح جميعهم طيبون إلا أنا وحدي لعين

لأني التقطت ما يبعث الشر في قلوبهم، وأغلقت كل الطرق التي تقود الانحراف إلَيهم

هو: أووه، يبدو أن قصتك طويلةٌ جداً، الآن دعكَ من عالمكَ المُريع هذا، الدنيا ليست سوى أيامٌ وتُقبل لا تهلك نفسك بهذه المعارك الزائفة، ستُرمى مهزوماً مهما كان انتصارك فيها، هيا بنا اعتدل لنأكل لُقمةً.

«هناكَ أشخاصٌ بمجرد طلتهم ستصفو حياتك مهما تعكرت، أشخاصٌ لا يحملون في قلوبهم سوى عرقُ المحبة وروح السلام، أولئكَ الذين اجتباهم الله لجبر كسورِ الآخرين، فلا تخسرهم عندما يقبلون إليكِ، ولا تيأس إن ضاقت دنياكَ بؤساً، حتماً كن آملا أن هناكَ فرجاً سيأتي»

أو تعلمين

ما كنت سأستمر بفطنتي هذه التي تدعينها حماقةً، لولا أنكِ داومتِ إقناعي بنسيانكِ

ولا كنتُ سأنساكِ، لولا أن لاحظتُ أنكِ تقتربين مني ببطءٍ حتى هلكتِ في حبي بغيرِ درايةٍ

وما كنتُ أترقب ذالك، لو لا أن أهانتني ذكرياتكِ التليدة التي خبأتها آنفاً لمثلِ هذا اليوم

وما كنتُ سأخبئها، لولا أني أُدركُ أنكِ ستسقطينَ في شركي يوماً ما بعد اجتياحٍ ومثابرةٍ في حقولِ تأوهاتَكِ

وما كنتُ أُدركُ ذالك، لولا أني تجسستُ على خبايا ضعفكِ واستوليتُ عليها

وما كنتُ سأتجرأ على فعل ذالك، لو لا أن حدثني عقلي بأنه لا يجب معاندة كبريائي

أحببتُكِ لمدة خمسة سنواتٍ ولم تشعري بي، وعشقتيني لمدةٍ إسبوعٍ فقط فأحسستُ بكِ، لكني أمهلتُكِ شهرانِ حتى تتمكني في قفصي ثم أُسَكّر عليكِ بابي لتموتي من سغبِ الهجر وعطشِ الفراق

لم أفعل هذا لأني لا أحبك، بل أفعل هذا من أجل أن أحكم بما أمر به القدير

فقد قال الرب في مُحكمه « النفسَ بالنفسِ" إلى أن قال» ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئكَ هم الظالمون» وأنتِ قتلتيني أكثر من مرّةٍ فلابد من أخذِ ثأري.

الحب لا يكفي لمُسامحةِ قاتلٍ، أحبكِ أنا.. نعم..! لكن عندما تعتدين عليّ سأسقط عليكِ لعنتي

أو تعلمين.!

لم يثبت التاريخ يوماً في صُحف البشرية أن إنساناً قُتل مرتين إلا في قصتنا هذه،.. نعم حدث الكثير في الكتب والروايات وبعض الأساطير التي أرّخها التاريخ في وقتٍ ما

لكنهُ لم يثبت ذالك

فنحنُ يا عزيزتي غريبانِ كالخيال، الجميع يصدق وجوده بيد أن لا أحد رآه

التقينا بطريقةٍ وافترقنا بأخرى بدأتِ بقتلي وانتهيتُ بقتلكِ

"هكذا هو العدل"

عاهرة

أنا مجنونٌ ..نعم.. بل مُختَلٌ بل مَهْوُوسٌ، بل مُولَعٌ.. موَلعّ بالحُب أنا.. لكن ليس حبكِ، مولعٌ بحب الكتابةِ يا عزيزتي، متيمٌ بالقراءة، مشوّقٌ للكتابةِ يا صغيرتي، ولا حاجةَ لي في أنْ أُنفقَ نصفَ ثروتي لشراءِ كتابٍ واحدٍ والنصف الآخر في مكانٍ هادِئ لقراءته، لا يُهمني المال، الذي يهمني فقط هو ما أتلقّاه، لن تُشغل بالي عاهرةً مثلكِ تدعوني بالأحمق لمجرّد أنّي اشتريتُ كتاباً بثمنٍ باهظٍ في حينِ يمكنني أن أُحضر هديةً لها قُدّرت بنصف الثمن، أتعلمين يا عزيزتي.. لو كان ما ترغبين به عظيمٌ لما فاق كتابي سعره، فكتابي هذا الذي تحتقرين به هو أغلى منكِ أنت وما تحلمينَ به، أُحذّركِ أن لا تقتربي من أشيائي المقدّسة حتى لا ينتفض غضبي فيكِ بقُبحه، لا أدري كيف قبِلتُكِ، أو كيف تقبّلتُكِ طوال هذه السنين بجانبي، فأنتِ لن تصلحي حتى نادلةً لأحذيتي

تباً لكِ

سقوط

لن تتناوب أحداثي كثيراً بعد سقوطي مرةً تلو الأخرى في نفس الفجوة العملاقة بعد حدوث زلزالٍ مريعٍ أدى لتدمير بُقعتي، أطاح بي في طُرق المدينة متشرّداً لا مأوى لي إلا في نحيبي ولا ملجأ لي إلا في صراخي

تجاهل البشر إغاثتي، والتفوا حولي ينثرون على ألمي ألوانا من نظرات السخرية والاشمئزاز في الدائرة التي أتوسطها أنا

لن تتخيل كيف كان المشهد حينما وجدوني على حافّةِ الطريق متكئاً على سورٍ طويلٍ مشعلا سيجارةً من العشب الأخضر ممداً رجليَ اليسرى ورافعاً رجليَ اليُمني واضعاً عليها مذكرتي كعادتي أدون ما ينقشه الدهر في كفن ارتيابي، أحاطوا بي كسلعةٍ في سوق الجمعة قرُب انتهاء صلاحيتها يرغب التاجر ببيعها بأي ثمن ممكن، يحدق كلٌ منهم إلي وكأني مخلوقاً غريبا هبط من أعلى رجماً، لكنهم لم يدركون باني أحضرتُ برفقتي أشياءً من الجحيم هدايا لهم، وأيضاً لم يدركوا ما الذي زرَعته

نظراتهم الأثيمة في بيدائي التي لا تنبت سوى الأسواء

حولتني تلك النظرات من منبوذٍ فقيرٍ.. إلى سفاحٍ عنيد، حيث تثاقلتِ الرّجات الإضطرابية لغيظي التليد، وتوالدت الوساوسَ الشيطانيةِ في نفسي بعد أن خبأتها لسنينٍ طائلة، فأخذتُ خنجري وبدأتُ أجتثُ أولي السخريةِ حتى حلت عليهم لعنتي

تعلمتُ من قادتي أن لا أخطأ في حق أحدٍ، وعلمتُ نفسيَ أيضاً أن لا أرحم بشراً يسهُو في حُرمتي

أبي من صنع مني رجلا

وها أنا الآن وحدي في الطريق أسير أنا، القمر يتبعني وتراقبه السحب ببطء.. تسأله من هذا؟ فيخبرها أنه الزُّنجيّ.. وليد أفريقيا الصّماء.. والده الليلُ.. أمه الشمس وجده قابيل

أمشي وحدي في الطريق بعد أن أخفقتُ للمرّةِ الثانية وسُرقت أشيائي الثمينة، أُتّهِمتُ بالسرقة رغم أنّي أنا المسروق، طُردتُ من شُقّتِي بلا سببٍ ولا تبرير، لم يدعني أحدٌ لأدافع عن نفسي، وما كنتُ بحاجةٍ إلى ذالك، لأنّ البريءَ دوماً لا يُصَدّق، وأن الزُعماء يقفون بجانِبِ من هو أقوى، ولأنّ الجُناةَ ضدي أتَوْا بحُجَجٍ لا مُبررات لها، همّ بعضُ أصدقائي أن يذهبوا إلى مخفرِ الشرطة، لكني أخبرتهم بأن ذالك سيكون هباءً، وفعلا ذهبوا، وقضوا الكثير من الوقتِ يشرحون للضباط تلك المسألة، لكن وبعد كل ذالك، ذهب ما بذلوهُ سُدَى، وها أنا ذا أنقُلُ حقائبي من مخزنِ المطعم الذي يعمل به صديقٌ لنا، والذي قضينا به يومان، إلى شُقتنا الجديدة، لقد قضينا تلكَ اليومانِ في بُؤسٍ وضنكٍ شديديْنِ، حيثُ لا يوجد به حمامٌ، ولا أسِرّةٌ للنومِ، فكانت تفترش

أرضيته الحصى وأتربةٌ من الجيرِ الأبيض، ولم يكن لدينا بُسطٌ ولا أفرشةٌ غير «مصلاية" واحدة كنا نصلي عليها،(اعتدنا أن نستأجر الشقق المفروشة من غير أن نجلب شيئاً عليها، لأننا في غربة) فاضطررنا أن ننام على «شوالات» السكر والبطاطس الفارغة طيلة يومانِ،(كأنّا جواسيساً فشلو في اغتيالِ مسؤُولٍ، وكرهو أن يستسلموا، فاختبؤا في أدغالٍ أرضيّةٍ بعيداً عن الأنظار،.. "كالفِئْران"..)

لكن لم يكن في نظري هناك شيءٌ غريب، فقد استقبلت تلك الكارثة بهدوءٍ كأنها شيءٌ اعتيادي، بخلاف أصدقائي الذين تشاحن بعضهم مع صاحب الشُّقّةِ والجيران الذي رمونا تلك التُّهم، والآن أصبح الأمر كأن شيئاً لم يحدُث.

والآن أنا أتمشّى وحدي لستُ يائساً ولا بائساً، ولكن محتاراً من حديث صديقي الذي يُأنّبُني بعد أن أعدت محفظتي وبطاقتي بعد سرقتهما، ومزّقتُ يدُ السارق، وذالك بعد خروجي بأسابيع من السجن بتهمةٍ ليست حقيقية

قال لي صديقي منفعلا بعد هذه الحادثة

_أو لم تكن تلك حماقة استند لها؟.. أولم تشعر بالذنب؟..

أجبته ببرودٍ ولا مبالاة لانفعاله

=نعم تلك كارثة أطعتها.. لكنها لم تكن أشد إعصاراً من ما مررت به.. لا تبدو لي غريبة أبداً.. لم تفجعني برجفة في نواياي.. لم تحدق لأقداري بسوء.. لم تغير مسيري نحو حُلمي.. ذاك كان سهوا لكنه لم يكن خطئا

_ههه.. أتعلم يا صديقي.. أنت عنيدٌ جداً، تقصد أن كل هذه الاجتياحات لم تشعر بها لأنك مررت بها من قبل؟ لا.. هذا محال، ربما قد أؤمن أنك لم تشعر بها، لكني لن أصدق أنك قد عبرت بها من قبل

= حسناً يا صديقي، لا بأس، خذ ما يناسبك عني، وارميني بما يحلو لك من سُوءِ ظنٍ أو حسن، لكن أن تصدقني أو لا.. هذا أمرٌ لا يهمني، فأنت لستَ سوى عابرٍ سيُمرّ من هنا بطريقِ حياتي، وفي يومٍ ما سيصبحُ ذكرَةً.. فأسطره في حروفي، وأنقشه في رواياتي، وأنا فقط أردت إخبارك حتى لا ترجمني بمثل تلك الأسئلة، فأنا لا تشغلني الابتلاءات وإن كانت أشد أساً، لأني تعلمتُ كيف أواجهها.

في يومٍ ما عندما كنتُ صغيراً وعندما أصابتني شوْكةُ «الهجليج» في قدمي للمرّةِ الثانية وفي نفس المكان، صرتُ أبكي، وأبكي كثيراً، لأنّه قد اشتدّ الألم عليّ ولم أتمكن من امتلاك قوّةِ التحمل أكثر، فقد كنتُ طفلا، اقترب أبي مني قليلا وقال بنبرةٍ مليئةٌ بالحنّية، ونظراتٌ مفعمةٌ بالثقةِ والمُروءة، وبابتسامته المعهودة التي طالما أخذت جزءاً من الأوجاع، وسألني: لماذا تبكي؟

مسحتُ أدمعي برفقٍ وقابلته بنفسِ تلكَ الحدّة محترساً لجملته التي يكررها لي دائماً «ما دُمتَ تبكي، فأنتَ لستَ رجُلاً» وأخبرتهُ بأنّ الشوكة أصابتني في ذات المكان الذي انتابتني فيه بالأمسِ، قال لي بلغةٍ يملؤها التفاؤل والثقة بالنفس: لا تبكي يا بُنَيْ، لطالما شعرتَ بها مرةً، يجبُ أن تتفاداها وإن أوجعتك، إن بكيت.. فلا تبكي مرةً أخرى، لا تجعل الحزن مهربك الأخير الذي تلجأُ إليه عندما تضيق بك دنياك، هناك مخارجٌ كثيرةٌ ولها طرقٌ مختصرة، لا تسلك ما يجلب لك المشقات، قم وتمشّى عليها، ليس هناك ألمٌ أبداً، أنينك من يخلقه.

شعرتُ بالتحفيز من كلمات أبي تلك وبالثقة الكاملة، فمشيتُ عليها وكأنّ شيئاً لم يكن، لن أقول لك أني لم أشعر بوجعها، فقد كانت تؤلمني، لكني كلما همِمتُ أن أذرف دمعةً، تأتي كلمات أبي ويتردد في أذني صداها «وإن بكيتَ فلا تبكي مرّةً أخرى»

لم يقل لي هيا لنذهب إلى المَشفى، أو نام لتخفّ الأوجاع قليلا، بل قال لي أركض عليهِا، وانسى ما يُدعى ألم جعلني أتجاهل ذاك الأنين، وأواصل طريقي مبتسماً مهما تراكمت في داخلي الأوجاع.

أبي من صنع مني رجلا يا صديقي وليستِ المواقف وحكايا الأساطير، أخذتُ الرجولة عن أبي، لم أتعلمها في المدارس والكورساتِ، أو من خلف شاشات السينما وأجهزة الإليكترونيات.

لذا لا يوجد هناك أنبَلُ وأقوى مِن مَن أخذ عن أبيهِ طريقاً

الأسطورة

أديباً كان شاعراً قاصاً وروائياً، يسطّر من الحروف ما لم ترويه المعاني، ويحمل من الكمال زهواً لن تجده حتى في الأساطير

يعبث بالمشاعر ويُهدئها كما يفعل في أوراقه كل يومٍ، يكتب بفلسفةٍ أرستقراطيةٍ عميقة لكنه كان معزولا، كثيراً ما حاول أن يقترب من البشر لكن بلا جدوي، قلّما يجد من يفهمه لأن البيئة التي يعيش فيها أغلبها أُميّون لا يدركون لذة القراءة والكتابة

كان من النُبَلاء الذين يكتبون عن الحب لكن لم يحبه أحد، بارعاً في التعبير، رساماً للحروف، غنيا بالمعاني، لكنه كان خالياً من الحب، ليس هناك شيئا يحبه سوى مكتبته.. أوراقه وقبعته البنية الداكنة، لم يقع في حبّ البشر أبداً.. إلا أولئك الذين يقرأ لهم، لم يعش تلك المواقف التي يتخيلها في كتابته.. الإيقاعات الكلاسيكية التي يعزفها على أحرفه.. لم يجد تلك الأنثى التي يحلم أن تكون ملاكه ولا يدري متى تُقبل عليه قافلة المحبة

حتى تيمم يوماً من ترب قلب امرأة عندما أراد آداء فريضة

الحب، ليست جميلة المنظر لكنها غانية الروح.. الروح يا سادة، امرأة راها ببصيرته وليس ببصره، ومرضى العقول يحاولون دوماً قناعه بتركها.. بينما هو معجونٌ بروائحها الغيمية التي تعلو قلبه وعيناه فلا يرى إلاها.. فقد كتب الكثير فيها، أضافت لأحرفه لوناً جديداً ومذاقاً مختلفاً عن ما سبق.. فقد أمسى يذكرها في كل كتاباتهِ وأولُ من يُهدي لها كلّ كتابٍ يؤلفه، كان صادقاً معها لأنها أول من يعشق من النساء ويا لحظ امرأةٍ أحبها كاتب، لكن مع ذالك لا تزال تهجره وتحاول إقناعه هي أيضاً بأن ما كان بينهما هو مجرّد «صداقةٍ أُخَوِيةٍ" لا أكثر تحذره من الاقتراب منها رغم أنه ابتغاها في الحلال لكنها ابتعدت عنه وعصته الأقدار

لستُ أدري ما الذي يحدث له

لكنه ربما أراد الربُّ أن يُعاقبه بما فعل في قلوب الآخرين

أتدرون عن من أتحدث..؟؟

أتحدثُ عن نفسي يا أعزائي...!

تباً

التاريخ لا يجامل، فلا تترك فيه شيئاً قاتلا.. الأسوأ تتوارثها الأجيال، واعلم أن لك عائلة يجب الحفاظ عليها، وأبناءً يأتون من بعدك، فلابد من أن يمكثوا شرفاء في قارةٍ يزعم بعض ساكنوها أن العمل بالثقافات جريمةٌ يعاقب عليها زعيم القبيلة، لابد أن تعمل بالتقاليد.. تباً. أفريكا يا صديقي لعينةّ، وستبقى هكذا للأبد، لن تتقدم أبداً ما دام فيها أناس يعتقدون أن الشِّعْرَ حرامٌ ولبسُ البناطيل كفر، كبعضُ أفراد عائلتي مثلا. ينعتونني بالمعتوه لأني صرتُ شاعراً ثم أصبحتُ كاتباً، «تلميذٌ ذهب لقراءة القرءان، فحفظه ثم أمسى شاعراً» عالمٌ غريب. بدلا من أن يحثو ابنهم على تقديم المزيد من الإبداع.. يحطموه، تباً.. يا له من عالم موبوء.

إن تلك الأقوالُ المُسيئة والسِّيَرِ الذاتية الملوثة التي تأتي بخلفي نسبةّ لي لتُشَوّهَ صورتي أمام من هم لا يعرفونني، تؤلمني كثيرا في حينها، لكنها لا تَشغَلني أبداً،

فالناس تحسدني كثيرا، وهذا هو السبب الذي قد يجعل التاريخ أن لا يذكرني للورى مقبلا، لكني سأزداد فخرا بذالك، بأني أنا الوحيد الذي خَشِيهُ التاريخ، فتبا للبشر، وتبا للتاريخ إن لم يُذكر فيه اسمي.

السمبك

"السُمبك فكرة، والفكرة لا تموت»

لقائلها

السُمبك.. هو مصطلحٌ سودانيٌّ كثيرُ المعاني، متعدد المنفعة والضرر

السمبك لدى النجارين هي حديدة كالمسمار، مستطيلة، ضخمة من أعلى وهزيلة من أسفل، يضربون بها المسامير العالقة بفوق الخشب،

والسمبك لدى لغة الشوارع هو الشيء المضروب في الأسواق

- أما السمبك لدى العامة هو مركب الهجرة الغير شرعية إلى الغرب في البحر المتوسط بليبيا، وهذا ما يتمنّاهُ جميع اليائسين من دول العالم الثالث، ولم يقف على أمنيةٍ فقط..! بل صار حُلماً لكل الشباب الفقراء الذين غرقوا في البؤس واحترقوا من الشقاء

ولم يجدوا للثراء مذهبا، حتى قال أحدهم يوماً ما عندما ثمل للغاية وأيضاً لم يشعر بالسعادة «علموا أولادكم السباحة، فالوطن للسياسيين، والسمبك للجميع» ضحك الجميع حينها، لكنهم لم يدركوا أن أبنائهم قد عبروا دون حاجة لإجادة السباحة، لم يجدو مياها نقية ليتعلمو فيها بهذه البلاد المدنسةِ، فاختاروا البحر المالح، البعض ذهب وتحدد له المصير، منهم من فشل وعاد إلى موطنه، ومنهم من عبر واستمتع بحياته، ومنهم من غرق واستمتعتِ الأسماكُ بموته، والبعض ما زال هنا يُخطط لتلك الرحلة الغامضة، التي ربما قد تخبرك إن كنتَ تستحق الحياة سعيداً أو الموت تعيساً، أو لا تستحق الاثنان معاً، فمن الناس من غرق ولم يمت، فلا وصل إلى هناك ليحتفل بسعادته، ولا عاد إلى هنا بصحته التي غامر بها، ما بين الاثنان قد أضاعَ شيئاً ثمينا، وهي العافية، ضحى بها ليحصل على المزيد منها، لكنه خسر الرهان، ونسي شيئاً مهما للغاية، أن العافية لا ترتبط بالمال، إنها تُكمنُ في العبادة، ومن توجّه نحو تلك الديارِ فلا نتجرّأ أن نقول "أنّه قصد الاعتكاف".

الجميع هاجر إلى هناك لجلب السعادة لأنهم لا يظنون أنها تمكث في المال، بل في المزيد من الأموال، لذا قال. "abobai" في أغنيته الشهيرة «السمبگ" «بلادنا مهما كانت حلوة وشينة... ما حنرجع ليها إلا مقرّشين»

وبحثاً عن الإنسانية التي يفتقدونها في أفريگآ اللعينة أيضاً، ولخّص ذالك عندما قال «أنا بلادي ما بسيبا ما بقوتا لو علي» وذكر أشرف أيضاً في أغنيته «الطامة» التي بيّن فيها أن ما أرغمه إن يمتطي «السمبك" ليس المال ولا النساء ولا أياً من الهفوات الدنيئة، لكن من أجل الحرية والإنسانية التي سُلبت منه هنا

الجميع يرى أن هذه الأغاني أو موسيقي الراب العربي عموماً هي مجرّد هلوسة يلوّث بها المغنيّون عقول المراهقين، أو فناً غربيا يحمل عباراتاً زائفة لا طائل منها، أو لا تصلح مع المجتمع الشرقي، وأنها لن تصلح سوى للرقص وتصميم حالات ال"Whatsapp" لكن هذا خطأ، كما أن للكاتب فكرٌ يقدمه، وللممثل رسالةٌ يوصلها، فإن للمغني أيضاً رسائلٌ يرغب بمنحها أو توصيلها للآخرين، هناك شيئاً آخر لا يفقهه الأغلبية، إن أردت الاستماع إلى هذه الأغاني، تأمّلها، لا تقفز فقط وتهدر

وقتاً ولياقةً بلا طائل، فإنها تحمل بداخلها رسائل ومعانٍ لا يدركها إلا من تأمل، ولذا فإن هذا المغني وضع رسالته في أغنية حملت الكثير من المعاني والصفات والأشياء التي يجب أن تُقال، ذكر فيها الكثير من الذي تلقّاه والذي أصابه، بما في ذالك اسمها الذي جذب انتباه الملايين

والشيء الذي أثار إعجابي وأضحكني كثيراً هو عندما قال «على الرايق.. ركبنا السمبك ما عارفين مين السايق.. شكلك فايق.. ما بتتجازف فاركب سمبك لو مضايق»

بكل تلك البساطة. قالها ولم يتوغّل فيها كثيراً، وربما قد يكون ما قاله حقيقة، فحتى يومنا هذا لم يعُد الوضع كما كان، ولم يصل إلى ما أردناهُ، فليكن الله في عون الوطن.

ترياق

كانت تتحدث له دائماً وتخبره أن الاجتياحات التي كانت تؤلمها توارت بوجوده، وما كانت السعادة لتطرق بابها لولا أن رأته يوماً ما في إحدى شتولها وارتمت بأحضانه دون إذن

كتبت له ذات يومٍ عندما غاب عنها ليومينِ

"صباح الخير حبيبي، أخشى أن أكون قد تسببت في إزعاجك أو إيقاظك مبكراً، ما كانت عادتي أن أبعث بالجواباتِ فجراً، لكن يشهد ربي أني لم أرَ الفجر منذ أن تغيبت، لم يخمد لي جفنٌ لم أتمكن من معرفة الليل أو النهار، فكلاهما أمسى لديّ واحد، حتى أُصبتُ بداءٍ لا أدري ما هو، لكن ترياقه أنت، وحدك من استطعت الاستيلاء عليّ فلابد من أن تعتني بي جيداً، استحلفك بربي أن لا تتغيب كثيرا، فأنت لا تعلم مدي هزلي وانا أقاوم هذا العذاب، أخشى أن أموت ولا أراك في أخر ما أتأمله، فارفق بي يا سيدي حتى لو قليلا، فأنا وكما تعلم فتاةً ولا أتحمل كبت المشقات»

ما إن وصله جوابها إلا انه تسكع وتلكع وتفاخر كأنه ملِكٌ تبختر عندما وجد من تكمن سعادته في وجوده، أراد انتهاز تلك الفرصة بتعذّيبها، مسكينةٌ هي تلكَ البريئة، عشقته ولا تدري بأنه واشقاً متجهماً يمكنه تمزقها في أقربِ ثانية أتيحت له، عشقت لمجرد أن قلبها مال إليه «وهكذا سجيةُ النساء، يُطعن القلب قبل العقل» ولا يُدركن بأن الاعتراف بالحبّ لدى الرجال جريمة، أحبته بكل أنوثتها، فدته بكل ما تملك، أصبح واحداً من نقاط ضعفها، لكن ذاك الضليل كان غويّاً مغروراً طُبعت اللعنة على قلبه الموبوء، وغداً كان لا يستحق أن يُحَب أبداً حتى لو من صخرةٍ، فالصخرةُ أيضاً أنثى، وعندما تعشق البحر تستسلم له حتى يفتتها، ثم تزول هي ويظل ذاك الجبان مخلّداً.. تباً

الصادقونَ لا يُعَمّرون كثيراً.، والرجالُ دوماً خائنون يا عزيزتي، وكاذبون أيضاً، «لذا لا تأخذي بهذه الجُمَل»

استمرت تلك المعاناة بين محبةٍ وحقودٍ إلى ما يُقارب نحو سنتان،

وكانت دوماً ما تصارحه أنه هو الترياق، ولابد من عودته وكان هو أيضاً يبادلها بنفس تلكَ التعبيرات الكاذبة ولا يعلم هو ما الذي تقصده عند إطالة سجودها، حتى يئس من حالته تلكَ

وقرر أن يؤوب إليها ليضمدها، لم يخبرها بمجيئه، قرر أن يجعلها مفاجأة ليرى ردة فعلها، ففاجأه القدر بأجله دون مبتغىً لردة فعله

انقضى الترياق.. وقدمَ الجُرحُ.. فاعتاد العيشُ دون حاجةٍ لتضميده

وهكذا.. عِش حياتك سعيداً بنفسك من أجل نفسك.. بعيداً عن تلك الترّهات التي تخبرك أن أحداً ما هو سرّ سعادتك، فلا وجود لمخلوقٍ يُدعى "أحداً ما"

لن أعود

أراني وكأني قد ازدادت لعنتي، أو كأني صرتُ متهّوراً أو جُنِنتُ أكثر، لم يعد لتلكَ المواعظ والوصايا التي حُظيتُ بها من أكابرِ قادتي مقرٌّ في فؤادي، أمست الأغاني تلامس قلبي أكثر من كل شيء

قديماً كنتُ أستمتع بها فقط، لكن الآن صرتُ أشعر بها، أكتوي من حنيتها أستمتعُ بها أيضاً لكن بحُزنٍ، لا أدرى من أين نبع فيّ هذا الإحساس الدنيء، لم أدرك شيئاً من تَقلّباتِ حياتي الفُجائيّةِ التي طالما تلونُني كل آنٍ بنقشٍ جديدٍ، لستُ أدري لكنه ربما قد وُلد من تلاطمِ موجاتِ غربتي المنكوسَة، فهي أشدُّ اندفاعاً من دمارِ سونامي، هدمت كل شيءٍ، أخذت بكل أمنياتي وأطاحت بها في وديان السراب، وكأنها تقول لي عندما ظنت أنها أغرقت نخوتي واستولت على أملي، أخذته مضيفاً لرحلاتها الهلاكية، "أني ليست لديّ الجرأة الكافية لتحمل تلك المشقات التي بنتها لتوقفي"

لكني أجبتها: نعم الطريق ليس لي، لكني سأمضي به حتى يُسَمّى بإسمي، حتى يشتهيني ويتمني لو أطاعني مبكراً، أعلم منذ صغري أن كل شيءٍ يعاندني في البداية، وأن كل الطرقات ستنبت شوكاً إن رأتني مقبلا عليها لكني أدعسها ثم أمضي، أتطاير عليها كما تتراقص في فؤادي، لا أشعر بطعناتها في قلبي فأنا لا أملك حاسة الشعور بعد، سأتولى أمري بنفسي، وأعبر تلك اليراعات الهزيلة حتى أقف أمامك في صمود، فأنا لم أترك وطني، أهلي وقريتي، والديّ وإخوتي، محبوبتي وصحبتي، لم أترك كل ذاك البهاء لأتنزه هنا في هفواتكِ يا غربتي، ضغي دوماً وتمعني جيداً أن ما أمامكِ هو جبلا من الفولاذ لا تستطيعين أبداً كسره

ولن أعود منكِ حتى أحقق ما أتيتُ لأجله، مهما لعبت بي رياح الشوق أو أرهقتني رماحُ الحنين،

مهما أنهكتني الذكريات أو بلغتني نبوءات البؤس عن وطني الحزين، سأصبر حتى أرى ما سيحدث

فأنا لست ممن يتشوقون للأخبار في البدء، عادةً ما أتحلى بالصبر دائماً لأحصل عليها بكامل التفاصيل

لن تجذبني تلكَ الادعاءات وبعض الملامات التي تقول "عودوا من أجل الوطن" إن كان هو لا يستطيع تحمل ما فيه، فلمن تريدون أن نبقى إذن.؟؟.. كل شاب وله مستقبل باهر فلا تدعو ربيعكم يضيع في وسط فقرٍ ومجاعةٍ، اهبطوا في أرض الله فهي واسعةً بما يكفي لما تريدون.. وتباً لوطنٍ لا يمنح مواطناً قطعةً أرضٍ يعيشُ فيها

تمرّد

ولأن ما يجعلني سعيداً هو تمردي بلعنتي في براكين ذاتي فلا استثنى أبداً أحدا منكم على الإطلاق، هيا اقدموا، أنا متهيئا لكل الضربات الغدرية التي تأتيني منكم بخلف ظهري، مستعدٌ لكل الانطلاقات والحروبات التي تخططون لها بخُفي، فمن أنتم حتى أستسلم لكم..؟! الزنجي ليس فأراً لترهبه الضباع

الزنجي إعصار جارفٌ يسحق كل من يعترض لرغبته

الزنجي شبحاً غامقاً يرعب كل مخلوق

الزنجي لن يخضع لمجرد أوغاد ظنوا أنهم قادة المجتمعِ يتصرفون بإرادتهم في البشر كما يشاءون

يدعون أنفسهم بحماة الوطن

هه.. حمقى.. أين الوطن حتى تكونوا حماةً له

اصنعوا لأنفسكم وطنا أولا ثم تحايلوا لحمائه أيها المتشردون

اغربوا عن وجهي حتى لا تحل عليكم لعنتي

فأنتم لستم سوى قطط برية تحاول القفز إلى قفصي دون دراية بما يحدث بداخله

أنا لن أطيعَ سفلةً اجتمعوا في مستنقعٍ واحدٍ وصنعوا لأنفسهم زيّاً دالساً ليخدعوا به أولئك الأبرياء أنهم من يديروا وضعية البلاد ليجعلوها آمنةً، وأنهم في خدمتهم دائماً، وأن هناك قوانيناً لازمة لا يمكن انتهاكها

ههها.. يا لكم من حمقى، أولا من أنتم حتى تضعوا لي قوانيناً في ممتلكاتي وفي ذاتي..؟؟... أنسيتم بأني أنا الزنجيُ؟.. أنسيتم أنا هُلكة أفريقيا من ضجيج صرختي؟؟ ألن تدركوا ذالك..؟؟.. تباً لكم أيها السفهاء

ومن الآن.. وبلا استثناءٍ، أنا لا أؤمن بعصابةٍ إختلاقيةٍ تُدعى "حكومة"، ولا أثق بأمانتها، ولن أخضع لقوانينها

أعلن تمرّدي من الآن وصاعداً فقد بلغت سن الرّشد لمعرفة ما يجب طاعته، ولا أحد غير الله تجب له الطاعة

فتباً لكم جميعاً

أترافقني إليها؟..

كانت تلك أخر كلماته لأحدِ أصدقائه قبل أن ينتشلها برق الفراق منه في حين يمكنه الاعتذار والحصول على سبب وجيز يمكنه إقناعها به أن تعود إليه، لكن كبرياؤه لا يسمح له أن يتدنى لأنثى معتذرا من خطيئة لا تستحق ذالك

وكم لعن كبريائه وكره نفسه حين وجد أن الحياة بغير تلك الأنثى التي هزء بها مهترئة تماما ولا تحمل لائحة للسعادة، صحيحٌ أن النساء يزعجننا أحيانا لكنهن سيبقين أفضل مؤنسات لنا إطلاقا، فالحياة بلا امرأة كئيبة حقا كبيت بلا أطفال، حيث لا تجد المتعة الكافية للهدف من بناء هذا البيت

وأيضا الحياة بغير امرأة جميلة جدا ككتاب بلا فهرس، حيث تتمتع بقراءته بعشوائيةٍ تنطلق بها حيث تقع عينيك في أي صفحةٍ.. لا يهمك الترتيب، هكذا هي الحياة بغير امرأة، تجعلك تتصرف في ذاتك بحرية بغير تقييد ولا انشغالا بما يرضيها

لكنه أراد أن يجمع ما بين الأمرين فاندثرت حياته في مآزق

ملعونة وتناقضت إرادته بإعصار قدري غير محتملٍ

ففقد أجمل ما يجب أن يحافظ عليه

ورمى بكلمته هذه على صديقه الذي كان يخبره بأن حالته ازدادت سوءً منذ غيابها ويؤازره على أن يعتذر إليها وينسى ما حصل، فأجابه أنا بحاجةٍ إلى ذالك لكن أخشى أن يحدث لنا شيئاً ما ونخسر بعضنا أبداً، فأرجوك أن تأتي معي، أترافقني إليها..؟؟

فوضع صديقه يديه على رأسِه وأمسى يحتكُّ كمن لسعته بعوضةً ولم يرد بغيرٍ تمتمةٍ لا مفهوم لها حتى غادر دون أن يقول شيئاً

لم يتفهم هو الآخر ما يعنيه صديقه، أو ما الذي دفع به إلى هذا الهرج حيث أنه احمرّ وجهه عندما طرح له السؤال وأمسى يفرك نفسه كمن أصابته حمى الاحتكاك وغادره دون أن يجيب على سؤاله

الغرابة ليست هنا.. الغرابة في أنه كيف يمكنه حل عقدته

لكنه لم يفكر في ذالك كثيراً لأنه كان مستغنياً تماماً عن كل ما يخص تلك القصة الغامقة، فجهلها وكأنها لم تكن أبداً. عاد إلى

بيته وجلس في مكتبته وامسى يقرأ حتى كتب هذه الكلمات

"عزيزي أنا، تعلم جيداً أنك بلغت سن الرشد كما تعلم ما يمكنك فعله وما قد يساهم في تدميرك، وتعلم جيداً أنك قد تخطيت مرحلة المراهقة، فلا يمكنك أن تلاحق فتاةً مغرورةً لا تعقل أبداً، ضع هذه التفاهة جانباً وسِر إلى حيثُ تأمل.»

صديقيَ السفيه

وصديقي ذاك المعتوه أتى اليوم ليستفزني ببداهة حماقته ويخبرني بأني شقيٌ وأن لون بشرتي الداكن هذا لا يتوافق مع هذه البيئة البيضاء الرصينة وأنه لا يمكنني الحصول على وظيفة هنا لولا أنه تساهل مع رب العمل

هه.. يا له من سفيه

لكمته ببنية جعلته ينزف الليمون الأحمر من فمه، وهذا ما أردت أن أراه في زوايا وجهه الشاحب

وكان من نصيب ضربتي أيضاً أن تأخذ ضرسين من أعلى ومن أسفل ثغره في جهةٍ واحدة، وتلوث فمه أيضاً فأصبح أخرساً لمدة شهرين تقريبا، لا يستطيع التكلّم ولا حتى الأكل والشرب،

فقمت بزيارته ذاتَ يومٍ حاملا معي سلة ورود بداخلها رسالة تقول "اسف يا صديقي، أنا حزين جدا لما حدث لك، ما كان يجدر بي أن أفعل هكذا شيئا، لكن وحدك من دفعتني إلى ذالك،

وحدك من أردت العبث معي، وحدك من انجرفت بثرثرتك تلك لنيل هذه المكافئة، فلا تلمني كثيراً أنت من أخطأت

وإن سألك أحدٌ ما عن ما حدث بك فقل له: قبلني صديقٌ لي من فمي فانهارت أسورتي وقررتُ أن أحتفظ بقبلته. وأخيرا بما أنى اعلم انك لن تستطيع محادثتي فقد كتبتُ لك هذه الأحرف بعد تعبٍ ومجهودٍ كبيرين فأنا لم أتأقلم مع الكتابة من قبل، ولست أدري أن كنت ستستطيع أن تقرأ هذه الكلمات أو لا، فإنها بالكاد أكبر من أن يستوعبها ذهنك

على أية حال أنا جئت اليوم لأعتذر لك عما حدث وما كنت لأعتذر، لأني ما سبق أن اعتذرت لأحدٍ قط ولا كنت أحمل هذه الصفة من العواطف، لكني تعلمتها منك، فكنت تعتذر لي أحيانا عندما تُخطأ في شأني، ولأنك تأخرت هذه المرة فأخذت من الجزاء ما يجب

ومن ثم جلبت لك اليوم معي سلة ورد رغم انك لا تستحقها «اه.. أنا اسف جدا لأني لم أجلب لك الشوكولاه التي تحبها، لأن فمك أصبح رثا لدرجةٍ ما، وتهشم وجهك لدرجة أنه صار مقزّزاً نوعاً ما وتحولت بشرتك إلى اللون الرمادي أو مالت وبشكل أكثر إلى اللون البني، أصبحت تتلون من كل الجهات كعامل البويه رغم أنك كنت تصفني بالمُلَوّن

المهم.. جلبت لك هذه السلة فقط لأني خبأت بداخلها أسنانك التي تناثرت في ذاك اليوم

وختاماً ووداعاً.. أتمنّى لكَ رحلةً سعيدةً في عالم الصّمِّ أيها الأهبل

"تباً لكَ بعدد ما سقط من فمك" "

أفريكَـــاااا

في خرابيش الكفاح أوردةٌ لن تبقى كثيراً، تتفانى فقط بأولِ قطرةٍ من دموع العذاب

في معارك النفس الارتباكية لا تجدي الابتهالات أو التوسل بشيءٍ ما لحل عقدةٍ أنشأتها أنت في ذاتك

وفي ملاحم الحب لن تكسب قلباً بريئاً إن لم تبقى طيبا

وفي منافسات الشر لن تربح أبداً إذا ما كنت شرسا

كذالك في مدنِ عالمي لن تحصل على غنيمةٍ إن لم تكن حاداً، ستهلكِ في أولٌ مؤامرةٍ إن لم تكن جريئاً ستُمحى بأول نظرةٍ ستُحرقْ في أول كمينٍ ناشبٍ

في طقوس عالمي لن يحترمك الناس حتى تصير سفاحاً، حينها سيطيعك الجميع دون مقابل، سيزوجونك ويقدمون لك كل ما تهوى دون أجرٍ

إنها الديار المقدسة الجهنمية، إنها أفركا.. أفريگا اللعينة يا صديقي اشتُق اسمي من جدارتها من انتمائي إليها، من حبي وكرهي وعشقي لها

مسافة

لست على دراية كافية بمعالمك الخفية التي بدأت تنهار إلى ذهني شيئاً فشيئاً، لكن على ما يبدو هو أنك ماجنة من ذواتي القرون السوداء، امرأة ماكرة تستمتعين بلباقة لأنين الأرواح الكئيبة وتحتفلين سراً ببداهتك الدنيئة الذوق بينما تتظاهرين بالحزن والأسف، تثيرين المواكب الفوضوية الغزيرة النابعة من زواحف حقدك وتثخنين مكايد الويلِ الشنيعة لكل من رأيتيه يتراقص بسعادته بغير دعوتك، تهاجمين كل من يعترض لآرائك الشخصية والعامة سواءً كانت سلبية أو إيجابية، تتشبثين في كل شخصٍ كالغاز وعودِ الثّقاب، تنفجرين في وجه كل من أراد أن يدنو من حياتك، تلهبين التوق لمن يأمل الاقتراب منك... وما إن اقترب إلا واجهته بالهزيمة والفرار، تلعبين بكل من أراد الاطمئنان عليك بواسطة الحب تعبثين به حتى تغرقيه في محبتك، حتى يظن أنك الكائن الوحيد الذي لا يمكنه التخلي عنه، حينها تبعثين في فؤاده رياح الخزي والجنون، تغادرينه دون أن يعلم، تمرين بقلوب البشر كعابرٍ لم يستطيع المكوث في قريةٍ يعمها الضوضاء.

لكني لست مثل أولئك الأهفاء يا مغرورتي

أنا الشيطان..

أنا من مهد لكِ تلك الطرقات الموبوءة أيتها الذليلة، أنا من وسوستُ لكِ «أن أمضي، هكذا يفعل النبلاء»

أنا الشيطان يا مسجونتي، وأنتِ الآن في حوزتي في أقفاص مذلتي، في قوارب لعنتي.. الذي تفعلينه مع البشر لن يؤثر في صُنعي لن يحصد في تربتي

ورغم أننا لم نلتقي من قبل، إلا قرأت ملامحك في أقل من ثانية، فأماكنگ التي تخبئين بها أسرارك ليس بمقدورها أن تتصدي ذكائي، ورغم أننا نقترب من البعض كثيراً إلا أن الفارق بيننا أطول من أن يُقارَن بسنين عمرك يا عزيزتي

أنا وحشٌ أفريقيٌ، وأنتِ قطةٌ شرقيةٌ لا تطمح بشيءٍ سوى ملءِ بطنها التي تبتلع لها أدويةٌ لأجل أن لا تُنجب مبكراً

أنتِ لستِ سوى متسولةً جائعةً تبحث عن من يطعمها حتى لو أدى بها الأمر لخلع الشرف "إن كان لها في الأصل شرف" فلا تتردد كثيراً بإطاحته

الفارق بيننا يا عزيزتي ليس هو أني زُنجيٌ وأنت عربية، ليس الفرق بأني أعيش في أفريقيا وأنتِ في آسيا، ليس الفرق بأني أسودٌ وأنتِ امرأةً بيضاء.. لا يا عزيزتي

الفرق في الأصول أيتها السافلة، أنا فتىً لي من العزّة ما يجعلني أفتخرُ أني أفريقيٌ وزنجيٌ أسودٌ و أنتِ أيتها العاهرة هل لكِ من الأصالةِ ما يُلخّص ذالك

حسناً لئلا أُذنب كثيراً في حق من هم أبرياء، لا يجب لي أن أطيل في الإساءة

فقط أنا أكره القدر الذي جمعني بكِ، ولو كان بإمكاني لحذفت من التقويم، ذاك اليوم الذي التقينا فيه، وكسرتُ تلك المقاعد التي جلسنا عليها، وحطمت تلك المدينة التي تضم كل قذارة تأوي إليها

وأكثر ما يشعرني بالذنب هو ذاك الوقت الذي ضيعته برفقتك

وأكثر ما يؤلمني أكثر هي تلك المسافة التي تفصل بيننا، لم أتجرأ أن أقترب حتى ممن أحببتها بقدر تلك المسافة

خلقت تلك المسافة بؤسٌ وارتطاماتٌ في فكري لا أتمكن من هجرها، أنشأت بداخلي شجارات لن تنتهي إلا بفقدان ذاكرتي

أتعلمين يا عزيزتي،

تلك المسافة هي من جعلتني أكتب هذه الإساءات كلها وهي من ألهبتني بذكراك وهطول لعناتي عليكِ

تباً لكِ أيتها السافلة

وتباً لوهْني

وتباً لتلكَ المسافة

رحيل

سأبتلع كمدي وأهزّم أحزاني واضع أوراقي في حقبتي وأُغادر..
عذراً لا وقت للتساؤلات أنا راحل

لم أخبركِ لأني لم يكن بإمكاني أن أحتمل كل تلك المأساةِ التي تغمريني بها، أنا ذقتُ الكثير في كهفك يا عزيزتي فليس بمقدوري أن أعيش في سردابٍ هالك وكل الدنى حولي مضاءة، لم أعد أمتلكَ بذرة من القوة ولا ذرةٍ من الصبرِ، أفنيتُ أنا كل شيء هنا في قضبانك يا سجانتي، فلم تعد لي طاقةٌ أطيقك بها يا طاغيتي

وأحياناً أن نرحل بصمت خيرٌ من أن يُبكى في رحيلنا

والرحيلُ بلا وداعٍ أجمل من أن نُلقى في هوامش الراحلين

وأنتَ تخطط للرحيل لا تطلع أحداً على خريطتك، لا تدع أحداً يعلم بطرقات وِجهتك، لا تدعهم يجدوك عندما ترعبهم الحياة، تذكر دائما أن من يختار الرحيل لابد من أن يبقى قاسياً، لا تلبي طلبات التوسل التي ترجوك البقاء

كما اخترت البعدِ كن أنتَ بقدرِ الفراق

سأرحل الآن يا عزيزتي.. سأرحل، وبلا وداع

فأنتِ ساقطةً لا تستحقين حتى عناقاً من ضلوعيَ الطاهرة

أود لو أنسى كل لحظةٍ أمضيتها برفقتكِ، لو أحذف كل صورةٍ التقطتها معكِ، لو أمسح ذاكرتي وأبدأ رحلةً ثانيةٍ لحياةٍ جديدةٍ بصفحةٍ أخرى

فنحنُ انتهينا.. انتهينا ها هُنا يا خادعتي.. لكن لا يجبُ أن أوقظكِ، نامي كما تُريدين واحلمي بما تشائين، لكن لن تجدي مجدداً ما تحُققين فيه أحلامك تلك، فقط كنتُ أحمقاً لا غيرْ، وكذبتُ على نفسي عندما أخبرتك يومها أني لا أستطيع أن أحيا بدونك أخطأتُ خطئاً شنيعاً عندما قدستُكِ متوهّماً بأني لن أجد مثلك في هذا الكون أبداً ولكن...

تباً لكِ وتباً لسخافتي

طوفان...

أن تعيرني بعضاً من أحزانك لأتسلى برزنامة تقويمك الجهنمي، أن تتمزق من دهاليز قلبك حتى مصارفها

أن تتأوه طوال الليل متوحداً بأنينك البطيء حتى لا تُشعر من حولك بالنفور

أن تتشرد عن المجتمعات فقط لأنك خبيث السيرة

كل تلك هي مجرد تفاريحٌ يخلقها القدر لتمديد خطاك بطريقةٍ أجمل إلى ما تريد الوصول إليه، فلا تيأس أبداً

لا تتخلى عن حُلمك، تخطى كل شيء من أجل الحصول عليه، تمرّد عن كل عائقٍ يحاول امتصاصك، أن تطيع أحداً باحترامٍ تقديراً لأصولِ تربيتك هذا سيرفع قدر والديكَ لكن سيُدني مكانتك أمام هؤلاء الأوغاد، كن وغداً أمام هؤلاء الأشرار، وأفشي بنبلك لمن يستحقون، فالحياةُ ليستْ مدرسةً لتعيشها

بزَيٍّ واحدٍ، إذا أردتَ أن تعش بلا تناقضٍ في هذه الأرض فاخلق لنفسكَ ألف قناعٍ، لا تُبيّن أبداً ملامحَ وجهكَ الحقيقية، لا تُشاركهم أفكارك ببراءة روحك النقيةْ، اجعل من كل شيءٍ اثنان، وشارك كل شخصٍ بما يستحقه

ولا تحزن أبداً كن صلباً واخفي كلما يؤذيكَ بداخلك

تقبل كل ما يأتيك منهم سيئاً كان أو حسنا، لكن لا تنسى أن تردّ الأمانات إلى أهلها

وإن أتتك الفرصة الكافيةَ لا تبخل عليهم بإضافة القليل من الملح فوق جروحهم، لتستمتع بتلكَ الآهات التي انتظرتها بصبرٍ بائسٍ لتأتي

دمرهم.. أهلكهم.. كنت أنت الطوفان القادم إليهم بعد معركةٍ ربحوا فيها كل ممتلكاتك، خذ كل ما أخذوه منك ضعفينِ، يقولون أن «الحياة لا تنطلقُ بالقوة» لكن إن لم تملك قوةً لن يحترمك البشر، كلٌ منا يرغبُ بقوةٍ كاملةٍ ليس ليقود الحياة، بل ليتقي شر السافلين

فلا تبقى دائماً ذو طابعٍ واحد

كن إنساناً مع النبلاء وشرساً مع السيئين

الفصل الثاني

ارتجالٌ في واقعٍ موبوء

الماضي

لسنا نحن من نهرب إلى الماضي، الماضي هو من يقبل علينا، حين لا يجد من يرافقه مثلنا، حين يرى نفسه وحيداً بلا أهلٍ ولا صُحبةٍ يجعلوه جميلا كما كان، حين يحزن ولا يجد ما يواسيه، هنا يبعث بأجمل ما حدث فيه قديماً إلينا ليستفزنا بعطور تلك الذكريات ويحرقنا بأشواق تلك الليالي، ليعبث بنا حتى نتمنى لو أنه لم يمضي، وهنا نقول عندما يسألنا أحدهم ما بك؟؟ لقد عدت إلى الماضي، وتأتي الإجابة في غموض أن الماضي هو من زارنا

أحد أصدقائي

وجدني أحد أخصامي القُدامى الذي كان يستهزأ بي دائماً لأني كنتُ أتمنى أن أكون شاعراً ولا أجيد إلقاء الشعر، رآني من بعيدٍ في «موقف الحافلات» قابضاً في يدي ثلاثةُ كتابٍ فجاء إليّ متلّهفاً ببسمته الصفراء ليتجسس عليّ أو ليرى تلك الكتب، لكنه لم يكن يعلم أنّها من تأليفي، قال لي مازحاً ببسمته تلك وبنبرةٍ قريبةٌ من الاستفزاز

_أووووه، صديقي الشاعر العظيم، كيف حالك. سلمنا على بعضنا وتبادلنا الأحضان لأنه مضى الكثير من الوقت لم نلتقي، ثم بعد أن تآنسنا قليلا أخذ كتبي وألقى نظرةً عليها، فتعجب وأصابه الخجل لم يجد ما يقوله إلا أنّه نعتني بالأسئلة الشائعة كمن يرون أعمالي لأول مرةٍ: هل هذا أنت؟ هل صرتُ شاعراً؟ كيف فعلتها؟ هل هذه الأعمال من تأليفك؟ أجبته كعادتي ببرودٍ

_أتذكرني

نعم.. هذا أنا، ذاك الشخص الذي كان لا يجيد إلقاء الشّعر في يومٍ ما

هذا أنا.. أنا الذي كانت تناديني مآذن الاستسلام لأسلمها نفسي، أو ربما لأعبد الخوف هناك في كنائسها وأُؤمِن بأني فاشل، أم أنها تغريني لارتد بأحلامي وابجلها لأتوه عن طرقي واتبعها، لكن أسفاً.. أنا لستُ كذالك.

رمقني مليّاً بنظراتٍ جحيميةٍ يبدو أنه يلعنني فيها، أو يفحص في ملامحي عن ذاك الشخص الذي كان يسخر منه في يومٍ ما، ثم قال لي بصوتٍ مصدومٍ

_صرتَ شاعراً؟

فأجبته بفخر

=لا.. كاتباً

لقد تمنيت أن أبقى كاتبا في زمن حُلم الجميع فيه أن يكونوا راقصي Tik Tok. لقد دونت كلما حدث في مذكرتي.. لأتذكر كل الحوادث التي عصفت بعمري ، لأدثر كل الحمم التي أتتني عكس توقعاتي، والتي قضت على عرشي بأسلوب لا يليق بمُلكي، لأخبر أبنائي عندما أتزوج أنهم خرجوا رائعون هكذا، لأني لم أحصل على أمهم بسهولةٍ، فقد كنتُ أعمل كل يومٍ إضافياً فقط لتسديد مهرها، لماذا؟؟، لأني كنتُ أحبها، وأنا لا أحب الرخيص، فلابد أن يشقون لأجل ما يحبون

فلا تُطع ظنونك كثيراً، أنا لست أميا كما تعتقد، أنا يمكنني أن أقرأ كل ما تخبئه بنظرة واحدة، ومن ثم لا يمكنني أن أثق أبداً في البشر

_ولماذا؟ هل أنّك شيطانٌ مثلا؟

=هه.. وهل تظن أن الشياطين لا يثقون في البشر؟ الشياطين يا صديقي تخشى بنو آدم، لذا توسوس لهم في الخفاء، ليس هناك مخلوقاً يستطيع التأقلم مع البشر، ونحنُ نكره الشياطين لأننا نعلم من هم، وماذا يفعلون، رغم أننّا لم نراهم أبداً، لكن بربك قل لي، كيف لنا أن نحب البشر ونحن لا نعلم من هم وماذا يصنعون؟ البشر يا عزيزي خبيثون جداً ومنافقون أيضاً، يحملون وجوهاً إنسانية وقلوبا شيطانيةٍ ووفاءُ حيواناتٍ جائعة، لا يمكن لي أن أثق في مخلوقٍ يحمل في داخله مخلوقاتٍ أخرى وأشياءً يمكن أن تحرق هذا الكون في آنٍ واحد، مهما كنتَ عفوياً بريئاً وذو قلبٍ طيبٍ وروحٍ مثاليةٍ، لا تثق بأحد، لن أقول هذا لألوث نزاهتك.. لا، وإنّما أقولُ لك هذا لئلا تضيع رهينة في أيدي الخادعين.. مثلك.

أحياناً

أحيانا يجب أن ننعزل بأنفسنا قليلا لنعبر عن ما يجول بنا، يجب أن نتفادى كل ما يجلب المشقاتِ لنا، أن ننفصل عن مقطوعات الموسيقي التي تبعثرنا، أن نوقف أوهامنا بذاك الماضي وتلك الذكريات التي ندعي براعتها، فلو كانت كما نتخيلها لما مضت، لا شيء جميل في هذه الحياة، إلا ما قد تعيشه حالا، الماضي ذهب لأنه قذراً، والمستقبل يختبأ لأنه وقحاً، والحاضر يدعك تعيشه لأنه بحاجةٍ لمشاركةِ روعته، لا تجعل نفسك تبكي على ما مضى، ولا ترهقها بالتفكير فيما يأتي، كلٌ لن تنال منه إلا ما قد كُتب لك فيه

تباً لكم

”ستنتهي الحرب، وسيتصافح القادة، وستبقى تلك العجوز تنتظر ابنها الشهيد“ أخبروني حينها هل سيعود؟ تباً لكم جميعاً أيها الأوغاد. تبا لما يدعى وطن، وتبا للسياسة بشتى الأنواع، وتباً لأولئك الحمقى الذين يشعلون كل إسبوع مليونية يشيعون فيها عشرات القتلى لأجل وهمةٍ خدعوا بها، تبا لكم أيها السفهاء، لو أنكم ذهبتم بإفاضتكم هذه لنصر القدس لحررتموها، تحاربون أنتم، من أجل غيركم، لو أن هناك خيراً فيما تجلبونهم إلى مقاعد الحكم، لما ظلوا صامتين إلى هذا الوقت، لا يحقق مطالب الشعب إلا من شرب من كأس معاناتهم، كلاهم من أبناء عصابةٍ واحدة، وسيسيرون على نهج ذاك الدستور الذي وضعه زعيمهم، لكن بطريقةٍ أخرى، ولا شيء يدعى وطن، هذه مجرد هلوسة أرادوا بها تدنيس عقولكم، وقد تلوثت

كُن صابراً

عندما تتخبط الأمنيات في كهف اللا محال يطل فجرٌ من ذرواتِ القدر ناصعاً، في شروقه بضعاً من نقاط الاحتمال المنتظرة فيخبرنا أن أحلامنا بداخله تشعُ نوراً مبللا بدموع الفرح التي لا عناء بعدها

ليس هناك ارتطاماتٌ فجائية، فكلٌ قد سطر في اللوح وأن يأتي في مثل هذا اليوم، فقط أحياناً تأتي الأقدار بغفلةٍ دون انتباه منا لتسلبنا ما ظنناهُ مخلداً في مسيرتنا، فلن نتمكن من استنشاق عبير الصبر الذي طالما قد يؤجل أحزاننا لأجلٍ غير مسمى، نُطرب حين يُنعم الله لنا، ونأسى حين يضع لنا امتحاناً لاختبارِ جرأة صبرنا، يا لنا من حمقى

نعلم أن الله لن ينسانا.. وأن تلكَ الابتهالات والأدعية التي توسلنا إليهِ بها لن تعد إلينا مقفرةً، لن يردنا الرّب أبداً خائبين

لكن أحياناً قد ينفذ الصبر منا، فلا نطيقُ حتى رؤيةٍ أحدٍ يجلس

بالقرب منا، أو يمر بجانبنا، نرى أنفسنا أننا لا نستحق البقاء أبداً في هذه الحياة البائسة، ليعود القدرُ مرّةً أُخرى حاملا في يده سلةً من الياسمين يهنّئنا بقدوم مسرّةٍ لم تكن بيننا وبينها سوى بضع خطواتٍ لكنا عجزنا عن تعقّبها

الربّ لن يُبعدَ عنك ما تريده أبداً

فقط يريدُك أن تتسبب فيما تناله لتحتفل بفرحةٍ كاملةٍ تزيل عنكَ كل تنكبات الطريق التي تعثرت بها من أجل الحصول عليهِ

ولا شيءَ يُدعى مُستحيلٌ، كما أن لكلِ سلعةٍ سعرٌ يخصها فأنّ لكل مطلوبٍ جهداً يجبُ عليكَ أن تَبذله

فقط كن صابراً

وهطلت الذكريات

منذ أن كنا صغاراً تعلمنا على أن السعادة تأتي بعد الألم، وأن كل شيءٍ جميل لابد من أن تُقدّمَ لأجله بعضُ المشقات، لكنا لم نكن نعلم أننا حين نكبر سنحزن على تلك الأيام السعيدة.. يا لبراءتنا

ما كان بوسعي أن أفعل شيئاً سوى أن أصيغ لترانيم بكائي، أنا الموبوء كل الأرض تلعنني، ينزل وحي العذاب من فوق سماوات الذكريات ليدعوني لحضور حفلٍ صغيرٍ ترتبه إحدى مواكب الماضي، فالذكريات رغم هدوئها واللا وجود لها فإنها تخلق بداخلك نزاعاً لا تطيق تحمله، ولا تجد في صدرك له اتساعاً، تعبث بك مثلما تداعب الريح أكوام الرماد، تستبيح دماءك فتبيح قتلك وتستلذ بنزيف أدمعك التي أقسمت أن لا تذرفها لسواك

الذكريات ليست هادئة كما اعتقدنا، هي إعصارٌ من نارٍ يتلاشى بداخلنا فلا يطفئه شيءٌ سوى النومِ أو البُكاء، وتارة تهدئها

الحروف عندما لا نجد سبيلا للهروب من وقاحتها، الحروف هي أوفى صديق نسمح له بمرافقتنا دون حذر، فهي يمكنها أن تشعر بما نشعر به دون حاجةٍ لإخبارها به

وهطلتِ الذكريات اليوم في وقتٍ ليس من عادتها أن تمطر فيه، انهمرت غيثاً حتى غرق الكون من فيضانها، وجذبتني أنا إلى أعماقها ولسوء حظي وجدتني لا أجيد السباحة في بحور الذكريات، فعبثت بي في قاعها بترفّهٍ ثم نبذتني إلى سطحها بعنفٍ وتركتني لرياحِ الشتاءِ القارصِ تأكل أجزائي، ما استطعتُ أن أقاومها ولا استطعتُ أن أكف عن بكائي الذي لا أسمعه ولا أمسح دموعي التي لا أراها

أندُبُ أيامٌ كل ما تبقى منها هو ما لن يبقى، ذكرياتٌ وآلامٌ لا تترك فينا شيئاً سوى الأنين، ترسم في بيارقنا بياضاً فنرتديها وشاحاً ومن ثم يسْوَدُّ فينا، تضع في أباريقنا شهداً، وعندما نحتسيه يعود شرْياً، نرجوها لو تعُدْ، وعندما تعصينا نتمنى لو أنا ما حيِئناها آنذاك.

كن وحيداً

لم تكن وحدتي أمراً فاحشا كما يدعي البعض، فأنا أستمتع بوحدتي، أغني وأرقص وأترفه بعزلتي، ليس لي صديق ولا حبيب إلا كبريائي ودخاني، ليس هناك من هو أقرب لقلبي سواهم، ومن أراد أن ينتمي لي فسيهوى في لُحود لعنتي، رعودي الانتقامية لا تطيق رؤية مجهولٍ، وشظايا غضبي أن ثارت لا ترحم أحداً، وكل من يعتدي على تدبير فخٍّ لي سأسقط عليه جبال سخطي

البشر في عصرنا هذا كالثعابين، فقط يحاولون إيجاد فرصة ليغدروا بك، لن يغدروا بك من الخلف أو الأمام، وإنما يحتالوكَ بالثقة، يتآمرون عليكَ بجاه رفيقك المخلص الذي لن تتخيل أنه سيخونك يوماً ما، ولكن المال.. المال يفعل كل شيءٍ يا صديقي، فلا تدع ثقتك أسيرةّ لدي كل ذليل، كن مع الحشود وانضم لكل طائفةٍ، لكن توحّد بكلّ ما يخصك، حتى أفكاركَ الجليلة لا تبح بها لأحد

كن وحيداً، فالوحدة لها طعمٌ لن يتذوقه إلا من خُذلْ

أوّاهُ يا نفسي

وها أنا الآن أقتل نفسي.. أموت للمرة الرابعة عشر بعد الألفين، أستبيح دمي فقط لأنه تحللت بداخله أنغام تلك الأغنية اللعينة، التي دائماً ما تُشعرني بالاكتئاب وانتشرت في شراييني صوت تلك البلبلة السمراء، واحتلت أنفاسه عطورها المرموقة، استبيح دمي فقط لأني لم يسبق لي أن قتلت إنسانا أحمقاً مثلي، إنساناً يبكي لأجلِ أغنيةٍ يدّعي أنها لامست قلبه، ولا يدمعُ لمجازر أممٍ يراها تُقتلُ وهي تعتنق الشهادة، قد مات الإحساس فينا يا سادة، حتى قلوبنا احتلتها ابتكاراتهم اللعينة، نجح كل ما خططوا أن يفعلوهُ بنا، حيث اصطفينا الملاهي وتركنا العبادة

ماذا سنقولُ للربّ عندما يسألنا غداً..؟؟!

أوّاهُ يا نفسي لو كان القدرُ بيدي لجزأتكِ أشلاءً.. وزيادة

الحب للحَمقى

لا تترجى أحداً بالبقاء في دنياك بحجة ما يُدعى "الحب"، من أراد أن يمكث فليقِم، ومن أراد أن يرحل ففارقه بغيرِ وداع، الحب للحَمقى والأرض تسع الجميع،

اضطرابات

يا ترى هل سأحترق إن غابت عني، أم سأتمزق إن التفت حولي، هل سأختنق كثيرا إن استنشقت يوما أوكسجينا من. فمها، أم سيحمر وجهي إن لثمت شفاها، أم أصبح زهرةً أو وردة إن قبلتها، هل سأصبح زاهدا إن قدستها، أم سأمسي لعيناً إن أشركت بحبها

دائماً ما تنتابني الشكوك في هيئتها، لكني لا أهتم لذالك ولا أبالي بالنظريات التي تحاول أن تتشبث بذهني وتلوث أفكاري بقذارتها الفاسدة

تلكَ الاضطرابات الغزيرة التي تعبث بدهاء عقلي ما زالت ثائرةً بجوفي، تغرقني بالأفكار المكثّفة التي تجعلني بخوراً بعد استوائي في قاعها

لطالما ارتعدتُ في المرّة الأولى من تفكيري ومجابهتي لها فلن ألتهي مجدداً عنها، سأخبرها بكل ما يقلقني عليها، بكل ما يثير الظنون في ذاتي حولها، بكل ما يبعث اليقين عن انتمائي لها،

بكل تلك الموجات التي تجذبني وتردني تارةً أخرى إليها، كل تلك الألغاز التي لا أستطيع فهمها، بكل تلك الأسئلة التي لا جواب لها، وكل ما ترغب في أن تقوله لي ولم تستطيع أن تبوح به لأنها تخشى البوار

سأبدو وهميا ربما أو كاذبا أو تعتبروني ساذجا أو تتخيلوني منجماً إن قلت اني أعلم بجميع معتقداتها عني، لكن تلك الحقيقة، وأني لستُ بمشعوذٍ ولا كاهن، لكني اعلم ذالك، أعلم بكل ما تحويه نظراتها، بكل ما تخبئه تحت أحرف رسائلها الشائعة «صباح الخير" "مساء النور»

أنا لست قارئاً جيدا، لكني أجيد لغة الحروف الغامضة

لذا لا أودُّ أن تقترب الظنون مني لترميني في جروفٍ لا قوّة لي بها، فقط أبحث عن أجوبةٍ لأسئلتي

لا تيأسْ

أو ربما لأن الجميعُ هنا في غفلةٍ ولا يُدرك متى ستنطلق حافلة الوداعِ الأخيرةِ إلى الوِجهةِ التي لا يعلمها أحد

هُناك في أورِدةِ الخيالِ خُرافاتٌ لن تُصدّقها مهما ابيَضّتْ براءتُك

وفي غموض القدر صدماتٌ تُهيجُكَ مهما متُن صبرك

وستشعر بكل هذا قبلَ أن يأْتي، لكن لا تستطيعَ الهربُ، لأنّ الطرق مغلقةٌ، ولن تأتيك فكرة أن تُجهّز نفسكَ حتى تأتي سيُهلكك الاضطراب، وتنتزعك ضرباتُ قلبك المُتراقصةَ في مسرح خوفك من الرعشة، فتهبُط في صرعتك ولا تستطيعَ المقاومة حتى تصدمك تلك الفُجاءات الغدْريةِ المُستوحاةُ من سُخريةِ القدرِ فتُهَشّمك إرَباً وتضعُكَ تحتَ وسادتها لتُصبحَ هامشاً من محالٍ قد تحقق.. تطحنُك كالرمادِ ثم تتصدّقُ بك للرياحِ الفقيرةْ

لكن لا تدعها تُحطّمك.. لا تدعها تُنفّذُ فيك لُعبتها.. لا تدعها تعبثُ بك ما تشاء.. قاتِل.. صارِع.. قاوم قدر ما استطعت.. اشتري روحاً أُخرى لإكمالِ مسيرك.. ارتدي نظارةً عقليةٍ

ناضجةً لترى بها حُلمك.. امتطي بُراقاً شخصياً للحاقِ بأملك.. ادعس كل من يقفُ على طريقك.. دمّر كل من يُعارضُك.. لا تُلقِ بالا لمن يُحدّثونك أنك» لن تصل".. وأنكَ «لا تملك القوّة لخوضِ تلك الحروب» وأنّك «ليست لديك الجُرأة لشقّ تلك الجبالِ والطُرُقِ المُظلمة

بل اصنع من كلماتهم شُعلةً وأرمِ بها على أفكارهم.. وأخبرهم أنّك ما زلتَ عملاقاً وما زال لديك الطموح المُحال لنيلِ ما تَبتغيهِ

أخبرهم بكلّ التفاصيل التي لا يعرفون عنها شيئاً.. اخلع لهم قناعك وأريهم وجهك الثاني.. أريهم تلكَ الذات الشيطانيّةِ التي تمكنتُ بداخلك بعد ما آمنتْ بك

صور لهم كل المشاهد التي رأيتَها عندما عبرتَ جُزر الجِنونْ

أخرج لهم كل الميداليّاتِ التي نلتَها بعد أن تراكمتْ عليكَ قوى المُستحيل

دعهم يرونَ الأباليس التي آمنتْ بشخصك دون حاجتها لدليلْ

خُذهم جولةً في داخِلِ قصركَ المَلكيّ الذي يحملُ أشياءك الجهنّمية

الذي يحتوي على رُسوماتِ خططكَ ومخطوطاتكَ.. ذكرياتكَ ومذكّراتك التي مضيتَ عليها بعد أن سطرت كل أخطاءهم «لن أرحم أحداً»

ثم اخرج على حينِ غفلةٍ واضغط زرّ الانفجار

لا تدع بشراً يُعيقك على قيدِ الحَياةْ.. إما أن تقتلهُ حتى لا يهزمك.. أو تبتعد عنه حتى لا يغدر بك، فالبشر يا صديقي خبيثون جداً.. إن لم يجدو ما يُسعدهم، أفسدوا عليك فرحتك، لذا لا تمنحهم ثقتك أبداً لا تجعل قلبكَ ضعيفاً ليشعُرَ بالأمانِ معهم، دائماً كن أنتَ الغنيُّ في كل شيءٍ، لا تعطيهم فرصةً ليتعرّفوا على طُرقِ سعادتك، فسيضعون عليها «المتاريس» كما يفعل الثُّوار

كن «أنت» في كلّ شيءٍ ولا تكن «نحنُ»

سيْطر على كل شيءٍ ولا ترحم فيما يخُصّك.. فعندما تُخطئْ في حق أحدهم حينها لا تُفيدُ المعذرة، لذا عندما تُخطئْ في شأنِ البشرِ كن مُتهيّئاً للتعويضِ لا للعُذر

وإن أحدث ذالكَ خلافاً وتسبب في نزاعٍ فاضرب أنت أيضاً.. لكن بشدّة، انتقم لأجلِ نفسك.. لأجل ما فعلوه في خطيئةٍ أتت سهواً.. فحتماً وإن لم يُسبب الصراع موتاً ستكون أنت المُخطئْ

وأنت السبب في هذا الهرج، وأنت من ستدفع ثمن الخسارة

لذا لا تكن مخطئاً بلا سببٍ، كن مخطئاً بأسبابٍ وأشياءٌ لم يراها غيرُ الرّب حين فعلتها

كن أقوى من كل شيءٍ حتى القدر

هو أيضاً هناك ثغرةً تُظهر نقاط ضُعفه

إنّه الدعاء.. الدّعاء يا صديقي.. إنه يكسر كل الحواجز، قد جعلهُ الرّبُ أقوى حتى من إرادته

لذا لا تيأس أبداً مهما تراكمت الهزائم لأنّك تملكُ المفتاح، مفتاح كل شيءٍ، تضرّع للرّبِ عندما تصعبُ عليكَ الأمور فإنّه لن يخذلك أبداً

وأخيراً... إنّ حافلةَ الوداعِ الأخيرة المُختصّةَ بي.. قد انطلقت حتى وقفت هُنا

فادعِ لي بالتوفيق رعاك الله

كاسياتٌ عارياتٌ

أشفقت عليها، حتى اني شعرت بقشعريرة تسحق جسدي، لا أدري هل لأني أحب النساء، أم لأني أخشى الوباء لكل البشر، لكنها أيضاً كانت جميلة، شقراء لها عينان سوداويتان كقلبي المحروق، خدودها محمرّة كالزعفران منتفخةً كبالون طفليَ المنتظر منها، فمها دائريٌ صغيرٌ تضع أحمر الشفاه في شفتيها فكرت بلثمها ألفيْ قبلة في ذاك الطريق إن لم تمانع، تلبس عباءة سوداء قصيرة تظهر جميع مفاتنها، أظن أنها ترتديها لجلب الزبائن حيث النهدين الغزيرين المرتغعين والفاصل الذي يظهر بينهما، ومؤخرتها الخرافية التي ترغب بلمسها لتؤكد أنها ليست رسمة أو خيال، جميلةٌ في كل شيءٍ حتى الإغراء، حيث أنها تتململ يمينا ويسارإ فتراقص جميع أعضاء جسدها اللين الممتلئُ برشاقة لم يسبق لي أن رأيتُها ولا حتى في الأفلام، لا أدري إنها تفعل ذاك قصداً لُتظهر مدى أنوثتها المُثيرةَ، أم لأنها تخشى أن تدعس على رجلها فتستنزفها أكثر، فكانت رجلها اليُمنى تبدو وكأنها مجروحة، كانت ملفوفة بشاشٍ أبيضٍ

مما يجعلها تتعثر في مشيها، وهذا الذي جعلني أشفقُ عليها، تلبس خاتم فضةَ دائريٌ في يدها اليُمنى، لست أدري إن كانت متزوجةً، لكن لطالما برفقتها رجلٌ يخيط يدها اليُسرى بيمينه، فلابد من أنهما تربطهما علاقةً ما، لكني لن أعتبره رجلا إن كانت تنتمي إليهِ

فقد كانت أشبه بعارضي الأزياء الغربيون، ولا أدري إن كان الرجال أصبحوا مثليون أيضاً، أم أنها ماتت بداخلهم روح النخوةِ والمروءة، فقد أصبح المجتمع الشرقي هكذا بأكمله، يصطحبون النساء ليتباهوْا بهم، ونسوا أن للنساء حُرمة،

وهُنّ يخرجن ليعرضن ممتلكاتهن لذئاب الشوارع المُفترسة، ولهذا كثُرتْ جرائم الاغتصابْ في الآونة الأخيرة من هذه الأعوام، وليس هناك مانعٌ أن لا تحدث ومثل هذه الأمور تزداد انتشاراً

ومهما حاولت الجهات المسؤولة تخطي تلك الكوارث وتشديد عواقب تلك القضايا، فلن تتمكن من توقف انتشارها، هُناك مثلٌ شائعٌ يقول «إذا كان التعرّي حُريّةٌ، فالاغتصابُ واجبٌ وطنيٌ» وما دام لم يضع المسؤولون حداً لمثل هذه الفوضى، فلن تتوقف التعدّياتْ،

الأمرُ هنا ليس دولياً فقط، الأمرُ دينياً وتربوياً أيضاً

إن لم تفعل ما يرضي الله فإن ذالك سيُغضبه، وربما يُنزل على الجميع عذاباً بسببك، قد خلقنا الله لإرضائه فقط، فلا يُمكننا أن نعصي أمره، أو نتمرّد عن طاعته فقط لنُرضي وحوشاً لا علاقةَ لها به، وإن لم تلتزم بأصول تربيتكَ فإن ذالكَ أيضاً سيُثير غضب والديْك، لقد أمر الله بطاعتهما، فما الذي يدَعك أن تَرضى بغضبينِ لفعلٍ جزاؤهُ السيئات..؟

إن كنتَ طاهراً وتخشى غضب الله فلن تتمكن أبداً من معصيته، ولكن ذاك يحدث مع أولي القلوب الضعيفة، الذين لا يُبالون بعواقب الأمور

كن ذا حذرٍ أن تتعدى حدود الله، أو أن تزحف خلف الكاسيات العاريات اللواتي يُبدين زينتهن لكل البشر

"فالبدايات التي لا ترضي الله نهاياتها لا ترضي أصحابها"

احذر أنصحك

أتعلم يا آثر

أنت تذكرني دائماً بشقيقي الأكبر، كان هو أيضا مثلك عنيدٌ لا يستمع لرأي لأحد يفعل ما يروق له ولا يستشير أحد، يجلس وحده بعيداً عن الناس ويقرأ أوراقه الكثيرة التي لا أدري ما بها، «ويبدو أنَّني قد ورثتُ عنه ذالك"

كان يوبّخني دائماً عندما يراني تاركاً مذكّراتي الجامعيّةِ ومثشبّثاً بدفاتري التي أعبثُ بها وأكتُب فيها قصائدُ غزَلٍ لمحبوباتي اللواتي لا يعرفهن، يعارضني ولا يُلبي طلباتي خوفاً من أن أكون صعلوكاً، لأنا كنا في بيئة يحفها الكثير من العصابات الصغيرة شبه «المافيا» أو كما يدعون أنفسهم بالـ»نيغاآآ" أولئك الذين دائماً ما تجدهم يحملون "السواطير" و "البوكس" والأشياء القتالية لأنهم لا يثقون في الأمن ولا يؤمنون بالثقة، لذا عندما يشدهم البُؤسُ أحياناً، يصبحون قطاع طرق، فالفقرُ هو من يردعُ الأنقياء حين تغلق أبواب الرخاء في وجوههم بأن يكونوا لصوصاً

ولأني كنتُ أعمل في المصانع آنذاك، وهم ينتشرون فيها بكثُرة، فكان يخشى عليّ ذالك

أتدري؟.. أنا لم يكن لي علاقة بهم ولا أعرف عنهم شيئا، غير أن أخي كان يراني شبيهاً بهم، ويظن أني أميل إليهم، بل وأدّى به الشّكُّ إلى أني صرتُ منهم، وذالك لأني غيّرتُ نوع حلاقتي وصرتُ لا أحبّ لبس «الجلاليب» وذالك ليس لأنّي صرتُ معتوهاً، لكن لأن تلك «الجلاليب» لا تصلح مع سلوك العمل، فأنا أمشي كل يوم مسافة ثلث ساعة تقريباً وأكثر حتى أصل إلى مقرّ العمل، وأكثر الطرق التي أمر بها يملأها الغبار والطين والماء، «فالجلابية» لا تتحمل ذالك، وتتسخ بسرعة، فإنها لا تصلح سوى في المناسبات والحلقات الدينية والخلاوي، أما المشاوير... فلا، وإضافةً إلى ذالك أنا لا أحب الغسيل

أما قصّةُ شعري..فإنّهم كما كانوا يربونه في شبابهم يربون الشعر كثيراً «خُنْفُس» فنحن قد أتينا باختراعٍ جديدٍ أكثر روعةً يُدعى «فَلْفَلَة» ولبسي لتلك البناطيل الضيقة من تحت «كباية» فإنّ لكلِ جيلٍ ميزةٌ تختلفُ عن الآخر، وإن رأوها القُدَامى أكثر شذوذاً، فإنهم وكما كانوا قديماً يرتدونها ضيقةً من أعلى وواسعةً من أسفل، فنحنُ قد فعلنا عكس ذالك، لابد من أن نُنشئ

لجيلنا اختلافاً يميزه عن الآخرين، وإن رأوهُ غير ملائمٍ، فنحنُ من نرى مُلُوحَته، أما هم فليتفرّجوا ويقارنوا بماضيهم، فمن أراد أن ينضم لنا.. مرحباً به، الحياة مشاركة، ومن ثبت على أصله فلا بأس لنا به، لكن من أراد التنكيد لنا... فليذهب إلى الجحيم.

ولكن أخي هذا لم أستطع أن أصنّفه أياً من هؤلاء فهو كثير التنكيد على أبناء هذا الجيل، ثابتُ على أصله، لا يريد الانضمام إلينا، لذا بدأتُ أنا أيضاً أخالفه، ما إن تفوه لي يوما بأنه يراني أميل إليهم كثيرا إلا أني ذهبت وصادقت الكثير منهم، صرت أدعوهم إلى البيت أحياناً، نتآنس ونلعب «الليدو" سوياً وأنا أيضاً لا أطيقهم لكن لا أرضى أن يشفق علي أو يهددني أحد.

كنت دائما أعصيه عن ما ينهاني عنه، لأني لا أشعر بالحرية معه، حتى اختلفنا ذات يومٍ وافترقنا، وكان ذاك الاختلاف في يوم عيدٍ، أذكر ذالك حتى الآن، عندما اتصلت به لأبارك له، أصبح ينعتني ببعض الكلمات المُسيئةَ ويلومني كثيراً، فأغلقتُ الخط في وجهه، ولم أهتم به منذ ذاك اليوم.

ففي دستوري نصٌّ يقول: إن رأيت قيمتك تقل في مكانٍ ما، فارحل ببطءٍ ولا تُخبر أحداً.

وحتى الآن... كلانا مغتربين وفي بلدةٍ واحدةٍ، لا تفصل بيننا سوى نصف ساعة، لكني لا أطيق حتى سماع صوته، فحريتي أسمى من أن أكون أسيراً لديه، والتأمّر والاهتمام الشديدين يولدانِ الكراهية، كان يظن أنه مهتمٌ بي، لذا ظل يتملكني كثيراً، يريدني أتّجهُ حيثُ يريد، لكني لستُ كذالك إطلاقاً.. ولن أكون.

أنا من خُلقت الحرية لأجله، فما الذي يدعني أتهاوى في سجون العبيد؟

وها أنت أيضاً أراك مثله، فلا تحاول أن تتذاكى لتُسيطر عليّ، فألعابك تلك لن تحتال عقلي، ليس هناك مانعٌ من أن يخسرك إنسانٌ هجر أخيه من أجل حريّته..!

احذر أنصحك.

فلْنفترق

أتمنى أن تكون هذه المصافحة هي الأخيرة بيني وبينگ، وهذه الأوراق هي الحد الفاصل بيني وبينك، أتمنى أن لا نلتقى ثانية لا في طريق عابرٍ، ولا في حوارٍ عابثٍ، ولا حتى في سطور كتابٍ آخر

هنا انتهت المعركة يا عزيزتي، خسرناها معاً مثلما ابتدأناها، لم يكن لأيٍّ منا أسلحةٌ كافية ليعلن هجومه، ولا دروعاً كافية ليحتمي بها، انتهت اللعبة يا عزيزتي، فلنفترق

دمار الآونة الأخيرة

ارتعاش وغموض، ارتياب وركوض، وفاءٌ وصدود، ضوضاء وصمود، زحام. وشرود، جنان وخلود، عزة وثراء، ثم رثاءٌ، وعزاء

ثم لا شيء

بغتةً حدث ما لم يخطر ببال أحد، حول ذاك النعيم إلى هلاك دامس، إلى قلعة يابسة خاوية تعلوها الدخاخين وبعض المياه الملوثة بعجين الرماد

تعلوها مياه الفيضان الملوثة برماد الحرائق، وبعض الدخاخين الساخرة المتناثرة

حيث أقامت الأقدار حفلا تراقص فيه كل ما سطر لذاك اليوم في الإرادة الكونية، حتى النسيم الذي كان يواسيهم، أصبح غبرة وشبحاً يتطاير فوق جثثهم الرمادية، لم يبقى شيء، هناك، الكل هلك، دمر ذاك الزلزال المريع كل شيء في الآونة الأخيرة، تلاشى كل شيء يومها عندما أمطرت السماء عجاجاً مريباً أدى بهلاكِ المدينة أجمعها

خُزعبلات واقعية

_أهلا يا صديقي، مابك، ما الذي حدث لك؟؟.. أراك منذُ الأمس هنا ولم تذهب إلى المنزل لماذا؟؟

=لقد اختلفت مع أبي

_اختلفتُ مع أبيك.. أوه يبدو أن الأمر مختلجاً يحتاجُ سيجارةً. «ولعتُ سيجارةً وأشعلتُ له الآخر» أخبرني ما السبب ولماذا

=قد أرغمني بالدخول إلى الجيش وإلا فلن أمكث معه في المنزل أبداً ولن أصبح ابنه

_وهل يجب أن تعصي أبيك لمثل هذا الأمر التافه، وأن لا تكون ابنه.؟

=أنا لم أخالفه هو، لا.. أنا أعترض عن رأيه الموجه لي، وأنا لا أودّ أن أتحرض عن أبوته أبداً، لكني أخشى أن أكون ابناً للحكومة حيث أنه يريدني أن أدخل الجيش وكما تعلم مدى كرهي للحكومة، وما لا تعلمه أني مرغم على قضاء سنتان في

الجيش حتى بعد إكمال دراستي الثانوية

_حسناً يا صديقي لا بأس، دعِ الكُره جانباً واتّجه إلى حيثُ تريد، لا تكنْ ذا رأيٍ واحدٍ أو جهةٍ واحدة، ارتدي قناع الحب واخلعه عندما تنال مرادك، فكل الخلق الآن أصبحوا منافقين، إن كنت بريئاً لن تجد مكانةً في العالم الوطيء، لا تنصت لتلك الأقوال التي تلخّص أن الأقنعة أمرٌ فاحش، فهم أيضاً منافقون، لأنهم يلبسونها بصمتٍ، ويتحدّثون عنها ببراعةٍ

=وهل يجب أن أقتدي بما يفعله الناس، ماذا إن لم أجد قناعاً يليق بي، فأنا لا أتقن التمثيل، ولا أتقن الكذب، ولا أحب شيئاً يجعلني أرتدي قناعاً لأجله

_لا يجدر أن تقتفي آثار الآخرين، لكن إن كان في الأمر ما يُصلحك، فلا تتريّث أبداً، وإن اضطررت فإنك ستخلق تلك الأقنعة من عدمٍ، لكن إن أردت أن لا تهطل عليك الذنوب، فكن بطبيعتك هذه، فالكثير من الناس يتبعون ما يرونه، لكن أن تبقى مؤمناً بذاتك، مخلصاً بإيمانك، فأنت شخصٌ نادرٌ في هذا الوجود، لا تحاول أن تُهبط نفسك أو تتعقّب خطاوي الآخرين،

اصنع لنفسك منهجاً وكن أنت قائده، وإن أمركَ والدك بشيءٍ فلا تحاول أن تتذاكى عليه، هو أعلم بالحياة أكثر منك، وأياً كان ما يأمرك به فهو لن يتمنى لك الأذى أبداً. فقط افعل ما يأمرك به وانظر إلى التفاصيل بعد إكمال مسيرتك، سترى أنه لم يَختَر لك الجميل، وتكون فخوراً به لأنه هو من أنبأكَ بفضل هذا المسير، وسيفتخر بك ابناً باراً، يحتمل قدر الأبوّة

كيْ لا تندم مقبلا لا تعصي والديْك

الحصة وطن

حتى ينحني التاريخ إجلالا لنا، حتى تهلك غرابيب الجشم والمذلة، سنظل ثُوّاراً مهما تلوثت الأسوار بالدماء وامتلت الطرقاتِ بجثث الشهداء، حيث الحرية حيث النضال، حيث ديمقراطية ننتقل بها نحو سودانٍ جديد، لا لحكم العسكر، سننتفض حتى نلوث أنفاسهم، حتى يعلموا بأنا نحن الأوكسجين، حتى يعلموا ما هو الوطن حقاً، حتى يعلموا بأن للوطن روحا، وأن هذه الروح بعثت فقط بداخل الثوار

الحصة وطن

حُلم

لا أدري إن كان ذالك حقيقة أم مجرد حُلم، يقول مفسرو الأحلام إن كنتَ متوضياً واستعنت بأذكار النوم قبل إغفاءك فقد يكون الحلم واقعاً، لكني لم أنم متوضياً

حلمت بأني سافرت إلى وطني وعندما كان يزورني الناس ليلقوا علي التحية ويؤانسوني جاءت هي، سمراءُ بأعيُنٍ سوداءُ ناصعة البياضِ، وخدين ورديينِ مُحمرّينِ وفم صغير دائريٌ وشفاه بلونها ليست بها أيٌ من مساحق التجميل، وفستانٌ باللون الأصفر الغامض

سلمت علي بحياءٍ حيتني، صافحتني ثم جلست بجانبي تؤانسني»لم تحضنني كما فعل معي بعض النساء، لم تقبلني كما يفعل العاشقات، لست أدري إن كانت هي لم تشتاقُ لي، أم أنها تحافظ على أنوثتها بعفة ورزانة»

تآنسنا لمدة طويلة لكنها مرت كلمح البصر، كم تمنيت لو أن القدر مد لنا بضعُ ساعاتٍ في ذاك اليوم من جوده، لكنه لم يفعل،

كانت تسألني باستمرار عن الغربة وقساوتها والعجائب التي رأيتها فيها، فأجاوبها بكل دقة وبراءة كطفل يشرح لأمه كل ما حدث بعد عودته من المدرسة

وفي خواتيم جلستنا تلك قالت لي _وكأنّا لم نكن معاً_

_ لأصارحك، أنا لم آتي هنا لمؤانستك ولا لأجل حبي لك، فأنا في الحقيقة لا أحبك، وأخبرتك كثيرا أن أخرجني من فؤادك لكنك لم تزدني إلا بقاءً، وأتيت هنا فقط لأخبرك شيئاً حدثتك عنه كثيرا، وهذه أخر مرة سأتحدث معك فيه، ولم أستطع البوح به منذ أن جئتُ، لأن الكثير من الزوار هنا، والآن لم يتبقى إلا أنا وأنت، دعني أسألك بعضُ أسئلةٍ

_لماذا أنت تُحبني؟!

=لأنكِ أول من زار قلبي واستوطن عقلي، وكل ما ترى عيني

_ربما قد تكون محقا، وأصدقك لأنك لم يسبق أن كذبت لي أبداً، لكن لما تدعي أنك عدت إلى هنا لأجلي.؟؟

=أنا لا أدّعي، أنا أقول ذالك حقا

_ إذاً هذا يعني أنك لم تعد لا من أجل أهلك ولا وطنك، وأنك لا تحب شيئا غيري، إن كان كذالك فهذا محال

=لا يا عزيزتي، لا شيء محالُ، فأنا ليس لي أهلٌ هنا إلاكِ، ولم أنتمي إلى ما يُدعى وطنٍ فوطني حيث أنت

_لا تتثاقل كثيراً، لا شيء يجعلك تنكر أهلك وموطنك لأجلِ شخصٍ تعلم أنت لن يكونَ لكَ، فهذه دوماً هيَ ابتداعات من هم طريُّون في الحب، أما من تدحرج مثليَ فيه فلن يقول ذالك حتى لنفسه، خوفاً من أن لا يوفي بما قاله فيخذل نفسه مجدداً

=لا صدقيني، أنا لم أقل ذالك عبثاً، أنا أساساً لستُ من هنا، وربما قد يكون الذي جعل القدر يأتى بي إلى هنا.. هو أنتِ، وحقيقةً لا شيءَ أبداً قد يقودني من هُناك إلى هنا سوى حبكِ، لذا أنتِ حُبي وأهلي ووطني.

_لن أستطيع احتواء ما تقوله، لذا أستحلفك بربي أن تغادر عالمي، فأنا قد كنتُ مثلك مسبقاً وعانيتُ كثيراً بعد أن افترقنا هجراً، وأعلم ما مدى قسوة ذالك، ولا أريدك أن تتعشم بي ثم أهجرك كما فُعل بي، فالمحبة شيءٌ جميل لكن الهجران شيءٌ أقسى، لذا لا أريدك أن تتوجع كما تألمتُ أنا، فأنا لن أكمل معك ما تتمناه، وأفارقك حتماً سأتركك، لذا لا أودّ أن نكون أخصاماً أمام الرّب، ولا أريد أن أجرحك

فأنا أعلم كم هو مؤلمٌ تأنيب الضّمير، وأنت لست حبيبي أنت صديقي، والصداقة عندي لأعظم شرفاً من الحب لذا...

هنا قطع نومي صديقٌ لي كان يعمل في إحدى الشركات ليلا أتى في الرابعة فجراً بعد إكمال عمله، وبعد أن سمعتُ طرقات الباب تجاهلتُ لأكمل نومي وأحظى بحياةٍ وهميةٍ بعيدةً عن الواقع، لكن ذالك اللعينُ أفسد كل شيءٍ، وأمسى يطرق حتى أفلت النوم من عيناي، ما كنتُ لأفتح له، لكني تذكرتُ حديثها وحنانها لي كصديق لها، فأشفقتُ عليه

لكني ما زلتُ أنام بلا وضوءٍ كلّ يومٍ، في أملٍ لأكمِل ذاك الحلم

لكن الكوابيس الوقحةَ لم تفارق أحلامي أبداً

تباً لها وتباً لجهلي أنا السافل

عقلٌ راشدٌ

نعم.. أنا أبدو مريباً وغريب، وهذا لأني لم أنشأ في طفولتي على مشاهدة المسلسلات وأكل الآيس كريم، ولدت أنا في قريةٍ هالكةٍ بقرب غابة الأبنوس على زئير الأسود وأصواتِ الرّصاص، لم يكن أبي غنيا بما يكفي ليجلب دراجة نارية أو ألعابا قيمة، أو يأتيني بكسوة جديدة في أخر كل أسبوع، فقد ولدت في عائلة فقيرة لا تدري للثراء درباً، نصنع ألعابنا من الطين ونقلد السيارات بها والخيل وما أشبه ذالك، لا نرى الملابس الجديدة إلا في الأعياد والأعراس، لا تلفازاً ولا شيئا لنرى به العالم الآخر، كنا فقط نتسلى بحياتنا نصنع الرماح بأنفسنا ونصيد بها من الغابة الزراف والغزلان والأسود أحياناً

ولدت أنا في ليلٍ أسودٍ بقارّةٍ سوداء لأبوَيْنِ سوداوينِ بجسمٍ أسودٍ وأعينٍ سوداء، لذا أعتز دوماً ببشرتي الداكنة، لوني واحد سواءً كنتُ في الظل أو الحرّ، غاضباً كنتُ أم فرحا، لستُ كثيرُ الألوانِ مثلكَ أيها الماجن،

ونساء وطني لا يتلطخن بمساحق التجميل لأنهن يؤمنّ بعطاء الرب وبهاء خِلقتهن، وأن أقبض على مالي بقوةٍ هذا لا يعني اني بخيلا أو كما تدعون "جلدة" فأنا أعمل اثنا عشر ساعة لأجل مائة وخمسون جنيها فقط، ما الذي يدعني أتسفه بها وأبذرها في أتفه الأشياء.؟

هنا _أشير إلى الدماغ_هنا يا صديقي عقلٌ راشدٌ لا تلهيه أفعال الآخرين، نحن لا نطيع ما تشتهيه الأنفس، ولا نقتدي بما تهواهُ القلوب، نحنُ نسيرُ حيث تأمرنا العقول فحسب.

لتفقدني الأمل

أؤمن جيدا انه لن يمكنني الوصول إلى هناك إلا بعد أن أفقد شيئا مهماً في حياتي، لأجل ذالك أنا في استعداد أن افتقد كل ما أملك لأجل حلمي.. وليس هناك ما هو أشد اهتماماً منه، لكن حينما أصل سأخبر إيماني أنه كان على باطل

أو تدري.؟ لم تكن تلك الارتفاعات الشامخة أن تُفسد ثقتي بنفسي، أو تجعلني أتدحرج عندما أتسلقها، بل هي كانت تفتح لي الطريق، تظللني، تدعني أمشي كما أريد، حتى أصل إلى خواتيم سكتي، فتسقط من ذروتها علي، لتفقدني الأمل، لكن دونما جدوَى، أنهض مرةً أخرى وأنتفض من ما رمتني به، وأواصل كأنما لم يحدث شيئاً حتى وصلت إلى ما أريد، فأنا طريقي هذا لم يكن من قبل كما ترونه، أنا من فرشت هذا البساط ولونته بالأحمر من دمي. وجلبت الورود له بنفسي، أنا من صنعتُ طريقي، أود أن أمشي بقدر الخُطى الذي تعثرت بها أضعافاً هنا

تذكر دائما إن كنت تستعد لخوض معركةٍ من أجل تحقيق هدفٍ لك أنك لن تجد طريقاً متاحاً، وإن وجدت فلا تمر به أبداً، هيئ لنفسك ممراً دافئاً واغدو به نحو المراد

أقدارنا تشبه أرواحنا

=نحن الزنوج لسنا نرجسيون يا عزيزتي، لكنا لا نهتم سوى بمن يشبهنا، لا نحب التسول عبثا بفتيات الأبرياء، ولا نكتفي بحضن واحدةٍ من النساء، ولا نؤمن بفلسفةِ "دولتي" و "وطني" فكلُ أرضٍ تروق لنا نتخذها موطنا، نحن طبيعيون جدا، لكنا وحوشا إن غضبنا، لذا لا تتنزهي أمامي هنا وتدعي البراءة والحياء

_أنا لا أدّعي شيئاً يا عزيزي، ما تراه عيناك هي الحقيقة، أنا أرتدي هذا الحجاب لأني تربيت عليه، ربما قد يكون خدعك مظهري هكذا، فتاةٌ حسناء بحجابٍ يليق بها، لكنك لا تعلم ما الذي يتراوح في داخلي

=ههه.. وما الذي بداخلكِ.. جنين.؟

_تباً، يا لك من دنيء،.. ليس جنيناً لكن ما يجلبه

=ماذا تقصدين.؟

_أقصد أودُّ أبيت معك هذه الليلة

=أوه، يا للهول، هل أنا محظوظ لهذه الدرجة؟ أم أنكِ قرأت بعض نواياي الفاسدة وأردتِ ملاعبتي؟

_لا.. حقاً

=إذن فانصرفي،

_لماذا

=لأني لا أستطيع أن أجعل منكِ عاهرةً

_وأنا لا أظن ذالك منك، لذا أود المبيت معك

=أنا لست راهبا يا عزيزتي، أنا زنجيٌ لعين، يمكنني اقتحامك في أي لحظة تجهمت فيها، وصوتك يغريني كثيراً، لا أستطيع التماسك حتى لحظة إن سمعتك تتنفسين، لذا أنصحك أن تغربي عني، فأنا إن هجمتُ عليك لن أترك منك شيئاً

_وأنا لست قديسة كما تعتقد، وهذا ما أريده، يمكنني أن أمنحك

أي شيء أنثوي ترغب به، لقد خلع أبي تاج الوثوق بي فقررت أن ألوث عذريتي انتقاماً لتربيته

=لحظة لحظة، ماذا تقولين، وما ذنب أبيك في هذا التلوّث، إنه لن يكون انتقامٌ منه فقط.! بل سيصبح عاراً قَبَليٌّ وتلوّثٌ عائلي، لن يقترب أحدٌ من عائلتك

_وأنا ليست لدي عائلة في الأصل، فليكن ما يكن هيا بنا

=لحظة، انظري يا عزيزتي، أنا وغدٌ.. نعم.. أنتهك كل شيءٍ، لكن لا يمكنني أن أحتمل ذنب عائلةٌ بسبب فتاة مراهقة، وكما أخبرتكِ مُسبقاً أننا لا نحب التسوّل عبثاً بفتياتِ الأبرياء عودي إلى حيثُ جئتِ

_ماذا تقول؟ هل هذا أنت حقاً أم أني أتوهم، ما الذي غيرك؟ أما كنت تغازلني قبل قليلٍ وتخبرني أنك لست راهباً، أما كنتَ تُعاكسني كل يومٍ عندما أمرُّ من هنا؟ ما الذي حلّ بك؟

=ها أنا ذا حقاً، وأقول الحق، غازلتك قبل قليلٍ لأني أردتُ إرهابكِ لكن غلبتيني بمكركِ، وأشاغلك كل يومٍ في الطريق ليس لأخلو بكِ، بل لأزوّدَ مخزون ثقتك بنفسك، من أراد الجنس لا يغازل الفتيات في الشوارع يا عزيزتي، فإنه يعرف أين يجد

الداعرات، صدقيني، من يعاكس الفتيات في الشوارع لا يرغب بالجنس، إنّما بالحب،

_كل هذا لا يهم، ولن تستطيع مقاومة إرادتي، وسأعطيك خياراً، إمّا أن تفجر بي، أو أن أصرخ وأجمع فيك الحشد أخبرهم أنك أردت اغتصابي، هيا اختر، ماذا تفعل، أرني ما لديك من ذكاء

=ههه.. أتعلمين، لو لم تكوني أنتِ فتاةُ الرجل الذي أعرف مكانته لدي، لقتلك، لم يسبق لأنثى أن تُعلى صوتها عليّ إلا واستبحتُ دماءها، لكن وبما أنكِ اخترتيها بنفسكِ، فاصرخي، كل أولئك الذين أقتلهم يبدأون بالصراخ، ومن ثم يتلاشون.

فجأةٍ سمعتها تصرخ وتتعالى صيحاتها»يا لهووووي، الحقووووني... " وبعض لغات كيد النساء التي لا نفهمها، لم تترك لي وقتاً لأفكر فيه، لم أتردد كثيراً، أخرجتُ سكيناً صغيرةً كانت في جيبي جرحتُ بها جزءً صغيراً من قدمي اليُمنى ومن ثم وقعت على الأرض ممثلا «فاقد الوعي» سال القليل من دمي، ولما رأت ذالك، غيرت ما تنوي له سقطت

علي وكأنّها تحاول إفاقتي، وعندما توافد الحشد ورأوا المشهد، انهاروا حيرةً، اجتمعوا حولي وأخذوني إلى أقرب مشفى، والحظ الأجمل عندما وجدتُ صديقي «مراد» ذاك الذي يعلم كل تنكباتي، همستُ له عندما اقترب مني «سايقهم طلس، حاول حسّنها» لم يتمالك ضحكته الشرسة تلك، فارتدى كمامته ستراً لمكري ثم أخبرهم أني بخيرٍ وليس هناك ما يجعلهم يقلقون علي وبعد ساعتينِ سأتمشّي بقدماي، فرّ الناس وخوى المكان وخلت مقاعد الاستراحة من الزوار، ولم يتبقى إلا أنا وصديقي الطبيب في غرفتي، قدِم لنا بفُنجانيْنِ من القهوة وبدأنا بالحديث عن الحادثة، نتحدث ونضحك بهستيريا فُكاهيةٍ غريبة، وكعادة الأوغاد إن اجتمعوا لا يعرفون مشفىً ولا معبد ولا مقفر شرطة، لا يضعون قيمةً إلا لحديثهم، وبينما نحن في حديثنا لمحت عيناي من الشباك تلك الفتاة التي تشاجرتُ معها للتو، ترانا بخُفيٍّ وتضحك معنا بصمت، وما أن وقعت عيني بعينها إلا ركضتُ ناحية الباب وأدخلتها، أمست تشكرني على وقوفي معها عن ابتعادها عن تلك الفواحش، وتعتذر لي عن الذي فعلته بي، أخبرتها بلكنةٍ كوميديةٍ، لا داعي للشكر والاعتذار، نحنُ لعبنا رهاناً وأظهرتُ لكِ فيه مدى ذكائي، ابتسمت ثم ضحكنا معاً بصوتٍ خافتٍ، ومن ثم واصلتُ _من شدةِ حماقتي_ كان

لابد من الخاسر أن يعوّض أخاه شيئاً، لكنكِ لم تفعلي

_أنا هنا لأعوّضك شيئاً

=وما هو هذا الشيء _رأيتُ هناك سراً بعيناها لا تريد البوح به أمام صديقي الطبيب_لا تقلقي هذا صديقي»مراد" مثلي تماماً في كل شيءٍ، أرني ما لديْكِ من مكافئةٍ

ابتسمت ابتسامة عريضة ثم قالت

_أريد منك أن تتزوّجني

في هذه المرّة أُغمى عليّ حقيقةً، لكن بالفكر، حيرةً لا أدري أم إعجاباً، لم أستطع أن أجاوبها بشيء سوى أن قُلتُ لها بجدّيةٍ

=لا أريدُ الزّواج منكِ

ومن ثم خرجتُ وتركتها، أخبرني صديقي في اليوم التالي أنها تحدثت معه وأخبرته أن يغريني بكل السبل التي يمكنها أن تكثف قناعتي بعرضها، لكنه أخبرها بأنه لا يستطيع

لم أستطع التمالك في رأيي، لأني صرت لم أرها حتى في الطريق، تركتُ عملي يومان أتأمل باب منزلها اثنا عشر ساعة

فلم أرها تخرج أو حتى تدخل

لم يمر أكثر من أسبوعٍ حتى طرقتُ باب منزلها طالباً يدها من أبيها، أخبرني أنها أقسمت أن لا تخرج من هنا إلا في يدي، فأتيتُ طالباً يدها

أقدارنا أحياناً تشبه أرواحنا

الفصل الثالث

حب

مدخل

وبعد أن تغابينا كثيراً بلا موضوعٍ في أطرافِ تلكِ الصفحات الماضيةِ، دعنا نتآنس قليلا هنا في ظل هذه الشجرة، شجرة الحب، هيا بنا، إنها فارغةً ألا تراها؟ أتدري لما هي هكذا؟ لأنه لا أحد يحتمل أن يمكث في ظلها كثيراً وإن كان حبه صادق، فاعتادت الأقدار دوماً أن تفرّق بين المحبين، وها نحنُ ذا قد أتينا، وسنرى ما ستفعله بنا الأقدار، نأمل حتماً أن نكون أقوى منها بإيماننا، بثقتنا، بدعواتنا، لا أحد سيفرقنا يا عزيزي، سوى إغلاق هذا الكتاب

حب

وعندما نذكر هذا المصطلح تجتمع الكثير من الأشياء الغريبة، والأغرب من الحوادث الاستفهامية، والأحدث من النزاهةِ والفساد، وتنهمر الكثير من الحكاوي السعيدة والقصص المحزنة، وبما في ذالك قصتي، أنا أيضاً لم أنجو من تلك التنكبات الجارفة، لا ترى سطوري هذه بما فيها من فكاهة وجلافة، سعادةٌ وتعاسةٍ، كبرياءٌ وغرور، وخيالٌ لأشياءٌ لا تشبه أبدا واقعي، أو بالأحرى ما سأكتبه لك الآن، فكل ما قرأته وما ستقرأه هو ما كتبته فقط في وقت فراغي لأبعد ذهني عن تذكار تلك التأوهات التي مررتُ بها، لكن الآن وبعد أن تخطّيتَ كل تلك الخوارق الخيالية، تعالَ هنا لأشبعك حباً، ربما قد تتصرف بحماقة «كيف لشخصٍ كان يتحدث قبل قليل عن التدمير والكُره، يتحدث الآن عن الحب؟» لا تتعجب من ذالك، فقد قرأتُ أفكارك قبل أن أفكر في كتابة هذا الفصل، ربما قد تكون محقاً في انتقاداتك، لكنك لم تركز جيداً، إنه حديثٌ فقط، وليس فعلا، بل وليس حديثاً، إنها فقط أحرف، ما الذي يدعك أن تأخذها بتلك الجدية

ههه.. الأمر مضحكٌ أليسَ كذالك؟ حسناً، دعنا من هذه البلاهة واذهب بنا إلى قطار الحب لنتسلى قليلا، لكن قبل ذالك أود أن أُعلمك شيئاً، أنك مهما كنت سيئاً، قبيحاً، سكيراً، قذراً، لابد من أن تحمل في داخلك شيئاً من بذور الحب، فالإنسان بلا حبٍ، كهاتفٍ بلا شاشة، فالحب أسمى مشاعر الحياة.

لنخوض قليلا في بُحيراتِ الحبّ المليئةَ بالجواهر الروحانية، ولأنّ الحب لا يحتمل النفاق، فلن نطيل فيه كثيراً

بضع صفحاتٍ وسنغادر هذا العالم الطاهر

تأمُّلْ

في علم النفس :

سبب عدم قدرتك على إخراج شخص من تفكيرك، هو أن الشخص ذاته يفكر بك..!

هل أنت أيضا تفكرين بي هكذا أيضاً؟ لا أظن ذالك، إن كنت كذالك سيصيبك الجنون، أنا بعقلي الكامل لم احتمل ذالك، فما بال عقلك الذي لم ينضج بعد.؟

أو ربما سأرحل.!

هكذا أخبرتني ذات يومٍ شتَويٍّ كاد يهلكنا صقيعه إن لم تدفئنا شُعَل الحب الملتهبة بداخلنا.. في جلستنا معاً على شفا شُعلةٍ من شَمعةٍ بوجهِ النيل بعد أن أنهينا قراءة كتابنا المُفضّل «ما رواهُ البحر» وضعناه جانباً وأطلنا النظر في تلك الأمواج الساكنةِ كأنا نتمعّنُ ما حكت، التصقنا في بعضنا نتبادل نجوى القلوبِ كأنا توأماً.. لا نقبل البُعد حتى في الخيالِ.. وتُخبرني بالرحيل.!

يا لشقائي يا لحظي.. ماذا سأفعل الآن..؟ هل سأقتلُني أم سأتركني لها تبعثرني كما شاءت.؟ أم سأوصيها أن»أتركي عقلي لي وفؤادي.. ومن ثم ارحلي.؟ « هي حتى لا تعلم أنّها ستأخذ ممتلكاتي برحيلها. بريئةٌ هي.. تظن أن الرّحيلَ فقط جمعُ حقائبٍ وسفرٍ.. ثم إقامةٌ في مكانٍ آخر. لم تدرك أن الرحيل هو أقسى سلاحٌ لتدمير قلوبِ العاشقين

الأشواق

أحياناً عندما تعتصرنا الأشواق، تعبث بنا مثلما تشاء، عندما تعبر بنا مدن الذكريات، عندها تملئنا بالحنين وتحيطنا بغابات من الوجدِ، هناك نستشعر روحاً أخرى نحيا بها، روحاً عبرت كل تلك البحار والطرقات والليالي وأتت إلينا، تزكينا ببعضٍ من قطراتِ الشغف المنهمرة من أمطار محبتنا، تطهرنا من الأدناس التي ملئت أرقابنا، وتضع فينا نشوة من عبير السعادة، إنها روح المحبة، المحبة هي من أجمل الأشياء التي يهبنا الرّبُ إياها

أتذكرين

أتذكرين تلك التأوهات التي صرخت بها سرا عندما أخبرتيني أنكِ لن تكوني لي مهما فعلت؟ أتذكرين تلك الدمعات التي استنزفها قلبي يومها بعد أن أفرغ ما به؟ أتذكرين تلك التساؤلات التي انهمرت فجأةً ولم أتمكن من إخفاءها؟ أتذكرين؟!

ذاك اليوم كان بمثابة عمرٌ ضاع مني هباءً، لم أعشه، الأمر غريبٌ شيئاً ما أليس كذالك، أعلم أنك لن تصدقيني، ويكترث في عقلك هذا السؤال السخيف «كيف لعشرون عاماً أن تمر في ساعة واحدةٍ بحوار واحد في جملة واحدة؟»

لكن فقط تخيلي ذالك

أن شخصاً ما يعيش على حب أحدهم يتغذى منه ويتنفسه، وفجأةً ينقطع ذالك عنه كلياً ماذا سيحدث له؟ أيفقد أنفاسه؟ لا طبعاً، أيموت؟ مستحيل، لكنه يفقد الكثير من سنوات عمره الماضية، يتحسر على ذالك ويعتريه الندم

لكني تقطعت أنفاسي، وفقدتُ روحي، ومتُّ، متُّ كثيراً ولم يأتي أحدٌ إلى عزائي

ما حزنتُ أبداً ولا ندمتُ على حبي لكِ، لكني تقطعتُ أسفاً، واحترقتُ تعساً، ومتُّ حسرةً على سنينٍ مضتْ سُدىً في محبتكِ، وعمراً مرّ هدراً في محادثةٍ هدّتْ كلّ ما كنتُ أرجاه أتدرين؟ إن كنتِ علمتِ بالذي يحويه قلبي من حُبٍّ لكِ لقبّلتِهِ ألفَ مرّةٍ ولقدّمتِ له مليونَ عذرٍ، تعلمتُ أن أنجح في كل شيءٍ، ونجحتُ في كلِّ ما حاولتُ، إلا في الحبّ أخفقتُ، هذا أنا يا سيدتي، تسهل ليَ الحياة أصعب الأشياء لأنالها، وعندما آتي إلى ما ليس في الاعتبار أن يكون صعباً، تُغلقُ في وجهيَ أبوابه، هكذا حظي دائماً، هذه لم تكن أول ضربةٍ أُواجهها، لكنها أوجعُ لكمةٍ أتلقّاها، فقد أتت من الشخص المميزِ في المكان المقدّس من بينِ أعضاءِ جسدي، والأكثر حدساً لشعور حواسّي، أتت في القلب، القلب يا عزيزتي، القلب الذي لم يحمل قبلك ذكراً ولا أنثى، إنساً ولا جناً، حتى احتضنكِ أنتِ وامتلأ بكِ حباً، ومن ثم هجرتهِ، أعلمُ أنكِ لم تفعلي ذالك قصداً، لكني أيقنتُ أنّي أنا المُخطئ، أحببتكِ دون أن تدري، وهكذا الحب عندما يأتي، لا يستشير أحد، لكنكِ ستظلين دائماً الأولى بقلبي، والأطهر بروحى، والأجمل بعيني،

والأفضل بِصُدَفي، ولن أحبّ بعدك أنثى مهما توهمتُ ذالك، ستظلين أنتِ فقط، الوحيدة التي لن يكررها القدر في تاريخي

دمتِ بخيرٍ يا غاليتي

رسالة

أيتها العزيزة الغالية على فؤادي، كفى عبثا بذاكرتي، فعقلي قد شاب من تراكم الذكريات، وجسدي صار هزيلا من صقيع الشتاء، هل أنت موجودة حقا أم أن أوهامي تخيل لي تلك الخرافات الزائلة، صرت أراكِ في كل شيءٍ، في وجه كل امرأة وعلى لحن كل أغنيةٍ، وفي قوارب كل مرسى، لن أستطيع أن أنسى، ماكثٌ أنا هنا عبثاً، جسداً فقط بلا روح، روحي وكل حواسي رحلت معكِ، وكأنّا تبادلنا ما وهبنا الرب إياه، ومن ثم تقاسمنا ما تبادلناه، فامتلكت أنتِ حصتي ونصيبك، وامتلكت أنا ما ليس لي، بقايا أشواقٍ مُبعثَرةٍ تُمزّق قلبي، وذكرياتٌ هالكةٌ لا تعرف شيئاً سوى الدمار، وارتباكاتٌ مجلفة تنتهك مناسك فرحتي،

الأفضلُ والأسوأ

وهكذا أعيش حضورك في الغياب، أراك في وجوه النساء وألحان الأغنيات، أتأملكِ في لوحات الفنادق وزهور الطرفات أكتب عنك في دفتري فأراك ترتسمين في أحرفي كالياسمين في خد الربيع، متفرّداً من بين البشر بميزتي، ظاهرةً على وجهي بعض سماتِ غرباءَ الحب العتيق، أقدسكِ وكأنّ لي معكِ مليون قصة حب منذ آلاف السنوات، لا أدري متى التقينا وفي أي مكان، ولم أتمكن من تذكار متى بدأت علاقتنا، كلما أعرفه هو أننا التقينا صُدفةً في محطاتِ الحب، وافترقنا بغتةً غرقاً في أمواج التخلي، عادة ما يفعلها القدر، يجمعنا بالحب ويفرقنا بالخصام، قصتنا يا عزيزتي شبيهة بالأساطير، لا أحد يصدقها، مهما صدحت بها في أحرفي أو كمدتها في اضلعي، فلا أحد يستنجدها إلى بر الحقيقة، لأنها لم تكن قصة فقط، كانت رحلةٌ مليئةٌ بالخوارق والمغامرات، ابتدأناها يوماً ما من الصُّدَفِ عندما غرفتني أمواج الحب ولعبت بي في عُبابِ رونقكِ، ولأني لا أجيد السباحة، غرقت في أول رحلةٍ بأمواج

عيناكِ، أنا وقاربي

ما كنتُ أخشى أن أراقب تحركات ضميري تجاهكِ عندما ألقتني مياهُ العشقِ على شاطئكِ ولا كنتُ أبالي بانحيازات الحب المتناقلة بي في سباقٍ مع الريح إليكِ، ما كنتُ أرتعبُ من حماقات الحب وتفاهاته التي تدعوها الأساطير، لكني أحببتكِ فكرهتُ نفسي

هل يا ترى أنّي اقترفت ذنباً لهذه الدرجة حتى صرتُ أكرهُ نفسي؟ لا، لكني أكرهني كثيراً حين أفتقدكِ

لربما أنتِ الأفضل والأسوأ في حياتي، الأفضل لأن قلبي مجدكِ بكل براءته، والأسوأ لأنه نسيَ حين قدسكِ أن الإشراكَ بالعبادة كفرٌ

إلاكِ

أنا لا أود قتلي.! لكن بلغة الحروف، مت كثيرا، لا أدري هل أبكيكِ، أم أبكي غربتي، أم أبكي تلك الأغنية التي تسببت في حرقي ومذلتي ولعنتني لتلك الدرجة التي جعلتني أنزف دماً بمجرد استماعها، لأني خبأتُ فيها كل ما هو متعلقٌ بكِ، أتدرين يا جميلتي؟ أنا لست ساقطاً لتلك الدرجة التي تجعل أغنيةً ما تستنزفني، لكن بوسع الشوق أن يفعل كل شيء

ها هي حربٌ داخلية أخرى نشبت بداخلي بعد عدة عراكات دمرت كل ما أوتيتُ من قوةٍ لأجابهها بها، وسلبت كل شيءٍ من أرض فكري، أشابتني قبل استكمال مراسمي، لم تترك لي سوى الأناةُ والخزايا الموجعة، أهلكت قلبي بأكمله، أصبح فارغاً من كل شيءٍ.. إلاكِ.

يبست غابات ذهني، وسكنت زواياها العناكب والثعابين، واعتلت ذروته عشش الطيور وأوكار النسور، هبطتُ في سرداب ذكرياتٍ مُؤرقةٍ وأخفقت كل محاولاتي للخروج منه

أنا هنا وحدي، انتمي لنفسي، لا أحد يسأل عني، ولا أحد يطمئنني، ولا أحد هنا أتمشى معه بعض مشاويري، أنا هنا وحدي، أردت الحرية فنلتها، لكني عشقت الوحدة أيضاً.. فأدمنتُها، ولا أدري إن كانت هذه حرية أم وحدة

شوقٌ يكاد يطغي على صبري في بعدكِ، واكتئابٌ يُشعرني بروائح الموت رغم غرقي في متاهات الحياة، أسكن المباني الشاهقة التي كنتُ فقط أتمنى لو أراها، السيارات الفارهة التي أمتطيها دائماً، النوادي الرائعة التي أذهبُ إليها بعض الليالي، الحفلات المُدهشة التي يدعوني إليها رفاقي، الهدايا الثمينة التي تأتيني بجواباتٍ مجهولةٍ من قِبل قرائي، جميعها لا أتذوّق لها طعماً، فكل الأشياء الجميلة لا تكتمل إلا بعينكِ سيدتي، حُبكِ يشعرني أن لا حياة إلا بقربكِ، وقدري يخبرني أنّي ما خلقتُ في هذه الحياة إلا لأجلكِ، فلماذا تتعمّدين هجري؟

لحظة الميلاد

"في اللحظة دييك والتو... لحظة الميلاد... كنت نقطة ضووووو"

كانا معاً في بيتِ أمها يغنيان (كعادتهما) بهذه الألحان بعد أن أفرغا مراجعتهما لمحاضرة اليوم، كان جيتاره في شنطته الخاصة برفقته، والذي لا يفارقه أياً ما كان، وبعد أن جمعا أغراضهما خرجا من المكتبةِ إلى الديوان، جلساً معاً في كرسيينِ مقابل بعضهما، هي يتوسد الحائط كرسيها، وجانب يدها اليُمنى «تربيزةٌ" بها سلتان صغيرتان من ورد «الزّعفران» وقارورة ماء، وهو جالسٌ أمامها لا يفصل بينهما سوى متر، أقبل بجيتاره ثم عزف مقطوعة موسيقية صغيرة، وبدءا يغنيان معاً «في اللحظة دييييك والتووو.. لحظة الميلاااد.. كنتِ نقطة ضووو" كان يراها بدقةٍ متواصلةٍ بحيثُ تشعر أنه لا يرمش أبداً ولا ينقطع عن عيناها نظره، وهي تصفق بيداها المليئتان اللينتان تصفيقة خفيفةً هادئةً برقةٍ ورواقةٍ، وتردد معه بصوتٍ واحدٍ على لحنٍ واحد، ولما قال» فرهدت بيك فرهيد.. وانتشيت بالريد» ضرب الجيتار برفقةٍ وقبضه من على رأسه

مده في ذراعه اليسرى فارداً إياها، وفرد ذراعه اليمني أيضاً قابضاً ريشته بين أطرافِ أصابعه، كأنه يعبر عن ذالك بفتح أحضانه لها، ثم قال «أنا» مع رفع حاجبيه معاً، وعيناه التي تغوص بعينيها، فانحنت إلى الأرض بضحكتها الخفيفة حياءً، واحمر وجهها خجلا، فأخذت سلة الورود الصغيرة وصوبتها نحوه "مازحةً" بشيءٍ من الدلالِ، فتصدّاها، ومن ثم أخذت زجاجة الماء وهمت برميها ناحيته، فصاح فيها بصوتٍ ناعمٍ ملموسٍ»معليش معليش"، هي ليست حادةٌ، لكن نظراته تشعرها بالخجل، فاعتذر لها هو قبل أن يعرف ما السبب، كان يعلم أنها تزعجها نظرته الدائمة في عينيها، لكنه كان يرى الكون كله منحسرٌ بينَ عينيها، وهذا فقط هو الشيء الوحيد الذي يزعجها ويريحه، فقال لها مازحاً برنّةٍ من أجراسِ ضحكته الموسيقية: لماذا تضربيني؟ هل تسببتُ في فعلِ خطأٍ ما؟

أجابته: بل أخطاء،

ثم أردفت: لماذا تنظر إلي هكذا؟

قال لها: لأغني

قالت له: وهل كنتَ لا تغني إلا برفقتهما؟ أرجوك أن لا ترمقني

هكذا مرة أخرى، وإلا.... ثم نظرت إلى الزجاجة التي أمسكتها بيدها بعد أن أزاحت عيناها بابتسامةٍ عن وجهه الذي تملؤه نشوةُ الحب العتيق، ففهم ما تقصده وأهداها ابتسامة كسرت ذاك الشعور بعد أن أردف قائلا: وكيف يمكنني أن أغني إن لم أنظر إلى وجهكِ الصبوح؟ بل ومن أين يمكنني قراءة أحرفي التي أغنيها إن لم أتأملها بعيناكِ

أجابته قائلةً بنبرةِ غرورٍ امتُزجت بالخجل وبعضاً من نظراتٍ الدهشةٍ والعجب

_وهل كُتبت في عينايَ تلك الأغاني؟

قال لها بعد أن طال التأمل في عيناها وحرك وتر جيتاره معلناً إكمالِ أغنيته

_لم تُكتب في عينيكِ، لكنها رُسمت في صفحاتها

ثم واصل دون أن ينتظر إجابةً منها قائلا بعد مقطوعةٍ وتريةٍ قصيرةٍ «طِرتَ بيكي الجووو"

فلم تتحمل تلك الجميلة صوته الجارح، وأغانيه تلك التي تلامس إحساسها دون أن تدري، وكأنه يعلم كيف يلامس إحساسها بطريقته ويملؤها تعلّقاً به دون أن تدري

غادرت وتركته قائلةً: حلّقْ وحدكَ في جوكَ هذا، فإني ذاهبةً لأتهيّأْ لفعل شيءٍ مفيد

ذهبت وهو يتأملها مبتسماً، كأنها تمشي على قلبه وهو يعُدُّ تلك الخطوات النّاعمة، حتى دخلت إلى مكتبتها أخرجت معدّاتها ووضعت الورقة على الطاولة ومن ثم جلست، أرادت أن ترسم لوحةً، لكن لم يخطر ببالها شيءٌ يستحق الرسم، فرسمت صورتهما عندما كانا يغنيان

وها هيَ الآن بعد مرَّ السنينِ تحدق في تلك الصورة التي رسمتها في ذاك اليوم الدافئ، وتنزف شوقاً لتلك الليالي التي عبرت بروعتها في لَمحِ البصرِ، مررت كف يدها اليُمنى بحنّيةٍ عليها مرارا، وأطرقت تردد له تلك الكلمات التي كان يغنيها بعد مرورِ وقتٍ ليس قصير، وكأنها يتكرر صداها في أذنها «في اللحظة ديك والتو.. لحظة الميلاد.. كنت نقطة ضوء.. فرهدت بيك فرهيد.. وانتشيت بالريد.. طرت بيك الجو»

صمتت لحظةً، وتأمّلتْ تلكَ الرسمةُ مليّاً، هزّت رأسها يميناً وشمالا، ومن ثم أعادت النظر إليها لبضع ثوانٍ وقالت بصوتٍ متحشرج مليءٍ بالحب والإشتياقاتِ، مفعمٌ بالتفاعل والأملِ، مُترَعٌ بالصدق والإخلاص

" حقاً كانتْ لحظةُ الميلاد"

طلاسم

في فراق الأحبة أحياناً الرحيل بلا إبلاغٍ أفضل بكثير من الذي يُخبرك بأنّهُ راحل، ففي كلتا الحالتينِ بُؤْساً وحزن، فقط حينما تحزن للذي غادر دون إخباركِ لن يكن الأسفُ عميقاً، كما أنه يمكنك أن تنساه في أقل وقتٍ ممكن، لكن عندما تندب الذي فارقته بأحضانٍ الوداع، لن تستطيع أن تهرب من موكب اكتئابك، ولن تتمكن من إقناع نفسك «أن كُفي من إسراف النحيب، من رحل لا يستحق البكاء، ودموعك أغلى من أن تُذرف للعابرين» فتُجيبك «لا أحد غيره يستحقها» فإنك ستنفجر حنيناً وشوقاً فقط عندما ترى صورته أو تمر بذكرةٍ لك معه، سيبقى ببالكِ طيلة ما تُعَمّرْ في هذه الحياة، وإن أحببت غيره، «فما الحُبّ إلا للحبيب الأوّلِ[1]»

أُحبكِ أمي

لو خلقَ الله السرور بشراً.. لجعلهُ أنتِ

لم يخلق الله السعادة إنسانا لكنه وضع جذورها فيكِ فأياً كان من أحببته، لن يعود الثناءُ إلا لكِ، أيا كان من انتميت إليه فسيعود اصلي إلى أحضانك، أيا كان من بكيت لأجله فسيعود حنيني إليكِ، لكني أخشى أن اودع هذا الكون يوماً ما وأنتِ لستِ بجانبي فأنتِ الإنسان الوحيد الذي أشعر به إنساناً من بينِ كل هؤلاء القطيع من البشر، أنتِ يا أمي معجزةً تخطّت كل آيات البهاء، لن يتمكن الدهرُ من إيجاد ملاكاً مثلكِ في ما يأتي من الأجيال، أنتِ النسخة الأولى والأخيرة لأشباهك ال٩٣

أحبك يا أمي

أحبّك حباً يتسابقُ جميعُ من في الكون فقط ليروا كيف أنّي أكتبه، أحبكِ حباً لم ولن يحبه بشراً لمخلوقْ

أحبك قدر الشهورِ التي حملتيني بها في رحمكِ الفردوسي، بقدر الابتسامات والفرحاتِ التي رسمتيها لأجل سعادتي، بكل

حضنٍ تطمنيني به أن «كن بخيرٍ، فالعالم ينتظر بسمتك» بقدر السنين التي علمتيني بها كيف أنطق وكيف أمشي وكيف أحب، بقدر الأحرف التي نطقتها.. بقدر الخطاوي التي سرتها، بقدر الأعوام التي عشتها، بقدر السطور التي دونتها، بقدر أحرفِ هذا الكتاب، بقدر ما لم يُخلقْ له قدْرٌ

أحبّك أمي

الفصل الرابع

واقعٌ وخيال

عندما يكون الواقع أغرب من أن يوصف بالخيال ويبقى الخيال أوضع من أن يوصف بالواقع، هنا ترتبك الحروف في خطوط السطور، وتخلق ضجة وزعزعةً تتولّد منها مثلُ هذه الزلازل من الكلمات

انتقامُ وغدٍ

أهلا مساء النور أيها القراء، وإن كان توقيتكم الآن صباحاً، فأيضاً مساءُ الخير، فأنتم لستم مضطرون لقراءة سطوري، غادروا صفحاتي إن لم تعجبكم تحيتي.

إذاً وبعد التحية، هيا بنا لنحلق قليلا في خيالٍ أصبح الآن واقعاً.

كان في عصابتنا شخصٌ تافهٌ يميل دائماً إلى الهروب من الحملات التي نقيمها أحياناً، تراه خائفاً دوماً، انفرد منا لأنه لا تليق به أبداً مرافقة الزنوج، أخبرنا صديقٌ لنا أن اليوم هو عيد ميلاده، ذهبنا لنهنئه، وبدأنا الحديث

=أووه ويلزون، أهلا بك يا رائع، تبدو جميلا اليوم مع بدء سنتك هذه، لكني أظنك لن تكملها

_أهلا مرحباً بك أيها الزنجي، اشتقت لك، أدام الرب عمرك، لكن لماذا تظن أني لا أكمل سنتي؟

=لأن الجبناء لا يُخلّدون، وبما أنك اشتقتَ لي، فهذا يعني أنه اقترب أجلك

_ههه... تبا لك أيها السافل، أنا لست جباناً، لكن أعشق روحي، أريد أن أتجنب ما يجلب لنفسي المشقّات، ثانياً أنا لا أحد يخافني ولا أحد يؤمن بي حتى وإن عملتُ شرطيا،

=ههه.. أنت إنساناً دراميا جداً، أتظن أن بإمكانه الحكومة أن تكون عظيمةً، أو أن يؤمن الناس بها؟ هي ليست سوى زياً وتماسيحاً تسلب الفقراء حقوقهم، ولو كان العالم بغير حكومة ولا سلطاتٍ، لما فسد هكذا، وما تقسم إلى عصاباتٍ وأحزاب، وإن أردت أن يهابك الناس، أولا يجب أن تجرد حبك لنفسك، فمن يحب نفسه يحبه الناس، لا يخافونه، أفتأمل أن يؤمنوا بك هؤلاء الأشرار كجناً.؟؟.. يجب أن تكون مثلي، حسناً.. إن لم تصدق خذ قبعتي هذه وضعها على قرعتك الملمعة وقف على جوار مدخل الحانة واضعاً يدك اليسرى على جيبك وقابضاً باليمنى سيجارتك الجمرية، انثر الدخان باستهزاءٍ أثيل في وجوه الآخرين

وانظر ما سيبدونه، ستتمكن من إظهار شخصيتك لهؤلاء البؤساءِ كملكٍ لا يمكن عزله، لكن ذاك لن يكن أنت إطلاقاً، بل أنا

_ههه.. حسناً، يبدو أنك تحكي لي بعضاً من الأساطير السخيفة المضحكة لتخيفني بها، أليس كذالك؟

= بل أنا الأسطورة، الزنجي ليس حكاية تُصدق من أول حرفٍ يا صديقي، الزنجي خرافة تلعنها كل الدهور، وتكذبها كل المخلوقات، إلا السطور، الزُنجيُ ليس شبحاً يا صديقي، بل شيطاناً، هو من يضع خطط الأشباح

ولأخبرك أسطورةً أخرى مضحكةً أيضاً، نحن هنا لسنا لنحتفل بعيد ميلاك، نحن هنا لنسجل تأريخ وفاتك، ونعلن موتك على صحف الغد عن طريق الوفاء

نحن أتينا فقط لنقتلك، لنخبرك أنه أخر يوم لك في هذه الحياة هو يوم ميلادك، وأنك أنت الوحيد الذي لم يمت باكياً، وأنك الوحيد الذي أُخبر بموته قبل أن تُقبض روحه، وأخبرناك حتى لا يسجل التاريخ موتك غدراً أو خيانة، أفهمت ذالك، نحن أوفياء حتى في الموت يا صديقي، فما بالك أن تخوننا في الحياة..؟؟

_ههه... هذه مضحكةً أكثر، يبدو أنك قضيتَ الكثير من الوقت لتتقنها

=نعم حقاً أصبت، مضيتُ كثيراً لأتقن كيف أدس هذه السكين بداخلك بغير أن أشعرك ألماً.

ثم ولجت السكين في بطنه بهدوء مع وضع يدي في فمه حتى لا يشعر ضجيجاً، فعادتي لا أطيق سماع الآهات إلا عند معاشرة العاهرات، وظل بتلك الحالة حتى لحق من سبقوه

بعد إسبوعِ زرته في مقبرته، لأن الوفاء لا يجب أن ينتهي فقط بالموت، جلست بجانب قبره وقدمتُ له هذه الكلمات

عذرا يا صديقي، وأخبرك للمرة المليون ٠٠٠٠٠١ «بلا واحدٍ٠٠٠٠٠» أنا آسف، لم أستطع تمالك هياجي عندما بعثرتني بتلك الكلمات، ربما كنت سأأجل قتلك لفترةٍ ما، لكنه كان رائعا أيضاً، فقد مت دون أن تصدر ضجيجاً كما كنت تحب نفسك ولا تتمنى لها المشقات، مت دون مشقةٍ، لم تنجح تلك الموسيقي الساغبة وأولئك الراقصات في تهدئة جنوني، ففعلت بك ذالك، وأوعدك أني سأعتني بعائلتك كما كنتَ تفعل، من ضمنهم زوجتك التي جعلتها نادلة في الملهي الليلي الذي عقدتَ فيه حفل ميلادك، وخطيبتك التي كنت تخونها مع زوجتك، والتي أخذتها راقصة في غرفتي الخاصة، وأختك التي أقضي معها أجمل ليالي شهوتي، وبيتك الذي فتحته ناديا للعاهرات والأوغاد

لا تقلق، سأفعل كل قبيحٍ لك من أجل الذي بيننا

فلترقد في لعنة الربّ

كذبتي

الجميع في هذا الكوكب تافهون يا صديقي، يسألونني دوما في كل يومٍ، هل أنت متزوج؟ أو متى ستتزوج؟ أو كيف يمكن أن تتزوج؟ أو كيف يمكنك التأقلم إن تزوجت؟ وكيف تقاليد الزواج في بلدتكم تلك؟

الجميع ينعتني بهذه الأسئلة المزعجة وكأني من سأنجب المهدي المنتظر.. تباً.. يا لهم من حَمقى.

في يومٍ ما وعندما ذهبت إلى معملٍ جديد يصنع المنتجات الخشبية، سألني أحدهم: هل أنت متزوج؟ فأجبته: نعم، ولم أقف على ذالك، بل استمريتُ في خيالي وأخبرته أن لي من الأبناء توأماً، يبلغان من العمر سنتان، فقال لي: ما شاء الله، حفظهم الله لك، ثم سألني: ما اسمهما، وهما صبيّان أم بنتان؟ فأجبته بحدّة الواثق من نفسه، مضيفاً بعضاً من سوادق المَلحِ: آنهما صبيٌّ وفتاة، اسمهما «لميس» و «راني» وفي السنة القادمة سيدخلان الابتدائية.

فصدق ذالك المعتوه، كانت تبدو عليه في البداية نظرات الدهشة والاستغراب، لكن ما إن أجبت سؤاله الأخير إلا أنها تحولت نظرات تصديقٍ وإعجاب. أحمق، حقاً كان أحمقا، لو أنه كان سألني: أرني صورة زفافك، أو كم من المهر قد دفعت، لأوقع بي، لكنه كان غبياً أحمق، ولم يصمت على ذالك، فقد كان ثرثاراً، طاف المعمل كله وأخبر جميع من فيه، وأضاف على ما أخبرته به مزيداً التكهنات الدرامية التي تجعل الناس يصدقونه، فأصبحت في اليوم التالي والجميع يسألني هل حقا أنك. متزوج؟ لم أجد مفراً، إلا أني صدقتُ كذبتي تلك، وأصبحوا يعاملونني كأب، حتى صرت أحترس من أن أحلف بالطلاق. من حينها أيقنتُ أن الكذب ليس بحاجةٍ إلى أبريل، إنه فقط يحتاج أناس أغبياء، ووغدٌ يدّعي الصدق والأمانة

قال لي أحدهم في يومٍ ما عندما كنت أمزح معه، لكنه كان يبدو جاداً شيئاً ما: لم أصدق أنّك متزوج.

فبادلته الجدّيةِ وأجبته بحدّةِ الواثق من نفسه: لا يشترط أن تصدقني، اسأل عني أصدقائي وستعرف. كان لي أيضاً أصدقاءٌ رائعون.. مثلي، منافقون جداً، وربما أكثر مني، مضى وسألهم عني، فأخبروه أنهم من ضمن الحاضرين لزواجي، فعاد لي

منبهراً ونظرات الدهشة في عينه قائلا: ينبغي أن تصفح عني، فظنوني كانت سيئة. أصدقاء السوء لا يخذلون رفيقهم أبداً.

ثم سألني: ومتى ستعود؟ أجبته: كنت أعود بعد مرور كل ستة أشهر، لكن هذه المرة سأعود عند عيد الأضحى سأتأخر قليلا(وكان آنذاك قبل رمضان بشهر) فمر ذاك العيد والذي تلاهُ والذي تلاهُ.. ولم تأتيني نيةُ الزّواج ولا حتى رغبة أن أعود.

وها أنا ذا أكتب اليوم احتفالا بمرور سنة من ذكرى كذبتي الأكثر انتشاراً وتصديقاً في تاريخي الخبيث، وأقولُ لها: ألف مبروك يا كذبتي، وعقبال المزيد من السنوات إلى أن أتزوج

الزنجي إن نوى الشر يصبح ماجنا

أُغنية

"لحظة سكوت.. والنملة علّت الصوت»

لا أظن أن أحداً لم يسمع هذه الأغنية

هكذا صدح بها «نوووي" ذاك الرابر الغني عن التعريف.

هتف بها واصفاً حال الثوار في تلك الفترة الجهنمية، في أغنيته «أبكم ناطق»

لم تكن تلك مجرد أغنية فقط، كانت شيئاً آخر، كانت سيلا من فيضان غضبٍ ثائرٍ في أنفُسِ الثوار، كانت وصفا دقيقاً لما يدور في الحياة، يحث بها الثوار نحو المُراد، إلى الأمام ولا للتراجع، حينما قال في بدايتها «ما بتدوم... مهما الظالم زاد صلابة وانزَلّ المظلوم" هنا ارتقى المعنى الفكري العميق لتلك الأغنية، لم تكن للرقص ولا لملهى، لم يغنيها ليهزأ كبقية مغنيين الراب أو الثورة بشكل خاص، حتى وهو يغني لم يعتمد على الرقص، رغم أن إيقاعها يجذبك بشيءٍ من الطرب، إلا أن موسيقاها تُنبأك أن هناك شيءٌ آخر لُحّنتْ هذه الأغنية لأجله،

وكلماتها تأخذك إلى عالمٍ آخر، حيث الواقع والحقيقة، وألحانها تُفسرُ لك أن ما بها هي تأملا ما يفعله المال بقلوب البشر، وما يفعله الأغنياء بالفقراء، ثم ينتقل فجأةً في الفاصل الثاني من ذات الأغنية عندما يقول «صابر يا دنيا فيك لو أعيش باقي العمر تعب» تشعر وأنه يغني لنفسه، لكن عندما تردد معه تجد أنّه أنت من يحث نفسه على التحفيز بالصبر لدرجةٍ بالغة الأحاسيس، شيءٌ من القوة والحماس الرفيع يقتحم دواخلك التي طالما أحيتها هذه الأغنية، فنانٌ أكثر من أن يُقال له حكيم، يحرك فيك الغريزة دون شعور،

ثم يعود إلى الواقع مرةً أخرى «الكل لازموا السكوت.. الكل عايش بموت.. عايش ك أبكم في سراب.. راضي بالموجود» لم تتلعثم هذه المرة، فقط تكتفي بهز رأسك يميناً وشمالا، ليس حيرةً ولا رقصاً، وإنما وجعاً وتأملا لواقعٍ كان في يومٍ ما خيالا ومثلا لحدوث المستحيل

ثم ينتقل إلى كلماته التي ما زلتُ أضعها في الاستوري خاصتي «شاب زي أي شاب..غير الله ما بهاب» تجدني عند سماع هذا المقطع من الأغنية غارقاً في انفعالي واضعا يدي على صدري ورافعاً الأخرى نحو السماء وكأنّي أعدُ نفسي ألوح بسبابتي نفياً

«لمن؟.. لا أعرف.» وأكرر معه بدقة وكأني أُسجل الأغنية في إحدى أُستديوهات "مارڤل"

وأخيراً يوجه رسالةً إلى ذاك الطاغية الدكتاتوري السابق بطريقةٍ رمزية لا يفهمها سوى القليل.

أنا ما جئتُ الآن لأكتب عن تلك الأغنية، ولكن لأترجم معاني تلك الكلمات التي لامست إحساسي بشكلٍ ربما أعمقُ من مغنيها ومن استمعها غيري، لكني لم أجد من الحروف ما يكفي لتحليل تلك الأحجية

بعض الأخطاء.. صوابٌ

ربما نخطأ كثيرا في تصرفاتنا وأحيانا في أفعالنا، ونصمم على أننا نحن اليقين، ونحن أدرى بأخطائنا أكثر، وذالك ليس لأننا نرغب أن يجعل الناس يدافعون لنا، أو أن نوهم أنفسنا بأنا على حق... لا، لكن..، هناك خطبٌ ما في ما حدث يجعلنا ننكر كل خطأٍ ارتكبناه

هناك كلمات صغيرة ليست مرئية في بعض الجمل، أو ربما قد يعتبرها البعض تافهة، لكنها أكثر من أن تكون قاتلةٌ، فما إن تخرج حتى تعبث بكل شيءٍ هادئ، وتلسّع الرّوح بضرباتٍ وجروحٍ لا دواء لها إلا أخذ الثأرِ، فحتى الابتعاد أو الخصام لا يكفي لمثلِ هذه الأشياء

دعني أخبر أخبرك عن واحداً منها،

في يومٍ ما ذهبتُ إلى العملِ في مصنعنا الخشبي الصغير، وكانت نفسيتي كئيبةً إلى حد أني لا أستطيع التنفس برفق، فأخذت كمامةً من «المخزن» ووضعتها في فمي حتى لا يلاحظ أحدٌ ما

يجول بداخلي، أو بالأحرى لأخفي ارتباك ملامحي، ووضعتُ كلتا أذُنيْ سماعتي في أذناي وعليتُ صوتَ أغنيتي(و في قانون المعمل أنه يجب أن تضع أذنا واحدةً فقط) كعادتي أهرع إلى أغانيّ المُفضلة عندما تتشاجر في داخلي الأفكار أو تغميني الذكريات، فكنتُ أفكر كثيراً كيف يمكنني أن أُجدد إقامتي وأنا تخطيتُ بعد أن أكملتها بسنةٍ ونصف؟ بما في ذالك الغرامة التي تتغطى الخمسة ألف جنيها؟ كيف يمكنني أن أجمعها وأنا مهْوُوسٌ بشراء الكتب ونشر كتبي التي لا أحد يقرأها غيري؟ كيف يمكنني أن أعود إلى وطني وأنا لم أكمل روايتي التي وعدت نفسي بأن لا أعود إلا بعد كتابتها؟ كيف يمكنني أن أقنع هؤلاء السفلة أني لست متزوجاً وليس لي ابناً يُدعى رامي، ولا فتاةً تُدعى لميس؟ كيف.... وكيف.... وكيف.....

وهكذا يتعمق التفكير وتزداد الأسئلة كل ما بدأتْ أغنية أخرى

وبينما أنا غارقٌ في كآبتي تلك، نادى علي بعض الصناعية «كنتُ مساعداً وقتها» لرفعِ شيئاً ما لكني لم أسمعه لأن كلتا أذنيّ مغلقتان، وأمسى ينادي علي مراراً حتى غضب، فأتى إلى بنفسه يعاتبني، وقال لي بنبرةٍ غضبٍ «سأخبر المشرف إن كررت فعلتك هذه»

ولأني كنتُ منزعجاً من نفسي أيضاً، أجبته بلا مبالاة «ومن هو المشرِف؟ أخبره، تباً لك أنت وهو» وأنا قلت له ذالك، لأني ظننتُ أنه أراد أن يرهبني، فجرحَته هذه الجملة أكثر من تجاهلي له، فذهب وأخبره بكل شيء، وعندما جاء المشرف، رأى ما بي وفهمني، فلم يبالغ كثيراً، وسألني فأجبته بكل صراحة بما أخبره به ذاك الصناعي، فغضب هو أيضا شديداً، وظنّ أني قلتُ ذالك لأني لا أراهُ سوى عاملا مثلي، لكنه كتم ذالك، وقال لي بلسانِ رجلٍ راشدٍ، ألا يجب أن تُبدي احتراماً؟ إن لم يكن من جانب المكانة، فليكن من جانب العمر!. ففهمتُ مقصده واعتذرتُ له، فقبل اعتذاري.

هذا من دهاء عقله الناضج، وإدراكه أن الغضب لا يجب أن يُواجه بالغضب، فذاك الصناعي قد أحرجته كلماتي تلك، فلم يتحمّل غضبي، وأنا قد استفزّتني جملة ذاك الصناعي، فلم أتأمل بما قد يفكر به ذاك المشرف، وذاك المشرف اعتبر كلماتي هي نقصٌ عن مكانته، ولم يستخدم العنف معي، لأنه علم بأنّي كنتُ في لحظاتِ انهياري.

كل هذه المعركة ابتدأت من تلك الكلمة الصغيرة التي ألقاها لي ذاك الصناعي، لأن كبريائي رفض تحمّلها،ولو أنه أتاني بجملةٍ أخرى لرحبتُ به، فأنا أخطأت وأعترف لنفسي بذالك، لكن لا يجب أن أخون إبائي

فبعض الأخطاء صوابٌ

تجنب الحب

القليل من الحب يكفي، التعمق فيه يؤدي إلى ما بعد الجنون، يجعلك تفتقر روح عزتك، وتفتقد مذاق الحياة، يسير بك نحو انحرافاتٍ وجنوح لا رشد بها، التعمق في الحب قد يكون مجزيا أحيانا، لكنه في كثير من الأحيان يتسبب في نزاعات داخلية لا سبيل للنجاة منها سوى الانتقام، وإن كان القول يجدي، فسأقول لك لا تقترب الحب أبداً، فإنه أهلكُ من أي سلاح نوويّ آخر، بضغطة زرٍ واحدةٍ يمكنه أن يجعل الدنيا أمامك روعةً، وبضربة واحدةٍ يمكنه أن يجعل الدنيا في عينيكَ حطاماً، على الأقل إن لم يعميكَ أبداً.. تجنّب الحب، وابحث عن عملٍ يُوفر قوتك اليومي، فحياة البُسطاءِ ليست قابلةٌ للمشقات، والسعداء من لا يبالون بالأمور التافهة، والحُب أحقرُ من أن يكون تافهاً... أحياناً

أمي

هناك أشياء لن تتكرر مهما توهمت ذالك، مثال أمي، وضحكة أمي وصوت أمي، وقهوة أمي التي تصنعها لنا في الصباح، على الرغم من اني لا أحب القهوة إلا اني أعشق أن أرتشفها من صنعها، فكل شيء من أمي جميل، حتى ألفاظها التي توبخنا بها عندما نخطأ في امر ما، تراها رائعةٌ للغاية، نيرانها الشتوية التي تدفئنا بها كل فجرٍ، بأن لا يصيبنا مكروه، أجمل ما لبث في فؤادي، لذا أتذكرها دوما في الشتاء، وسيبقي الشتاء دائما فصل الذكريات، واجمل موسم في مواكب السنوات

ولأن تلك الانتماءات الورقية لم ولن تفيدني أبدا، قررت أن أنتمي آليك، فليس سواك من يكون لي وطنا، وليس سواك من يستحق وطنيتي.. حبي.. جهادي.. اهتمامي.. موتي.. لأجلكِ. كل تلك الادعاءات الدوليّة مجرّد خداعٌ لمن هم مثلنا، لا وطنية إلا لمن حملونا تسعة أشهر في أرحامهن دون فواتير ولا أجور طعام

مهما فعلتُ لن أستطيعُ أن أوافيكِ يا أمي، فقط أرجو رضاكِ أدامكِ الله لي ومدّ في عمركِ حتى فنائي

مِنّة

صباح الخير _أو_مساء النور، أو بغير تحيةٍ، فالقراء عادةً ما يتخطونَ التحايا، لأنها مألوفةً لديهم، يبحثون دوماً عن الأشياء الجديدة الراهنة _مثل أفكاري الخبيثة هذه_ لا أدري ما الذي ستستفيدونه بعد قراءة هذه الجُمل، لكني أضمنُ لكم ستكونوا أشد شراسةً من ذي قِبل

هيا بنا لأحدثكم قليلا عنها، إنها صديقتي «مِنّةْ» تعرّفتُ عليها في إحدى طرقِ «الخيالِ» بالقاهرة، تُعدُّ من أقرب أصدقائي الأخصام لدي، وأُعَد من أقرب الغرباء إليها، حيث ابتدأت علاقتنا بشجارٍ حدث في يومٍ ما، دوماً ما تناقشني في كل ما أفعله لا تجاملني أبداً، حتى في بعض كتاباتي، ودائماً ما تلومني بأني لم أكتب لها حتى قبل أن تتعرف على مهنتي ككاتب، تهددني دائما أن أكتب لها أو لن تقرأ ما سأكتبه مجدداً

نعم يا عزيزتي صدقت القول، ما كتبت فيك شيئا منذ أن عرفتك، إلا رسائل الدردشة التي ما بيننا، وقد كتبت لكِ الكثير

من العبارات الجميلة، لكنك لم تلاحظي ذالك، لأنك تريدينها أن تُسطر في كتاب، وأنا لا استطيع ذالك، لأن أحرف اللغة العربية قليلة جداً، لا تكفي لوصفك، اخترعت بعض الحروف لتحسين وصفك، لكني ما وجدت اسما لها، أنت تحتاجين لغة أخرى بها أكثر من ثلاثين حرفاً، كاللغة الصينية مثلا أو الهندية، لكني لا أجيد أياً منهما

"يا لكَ من سافل"

أعلم أنكِ ستنعتيني بهذه الجملة إن كنتُ بجانبك ونطقتُ هذه الأحرف، أو أنكِ مررت بقراءتها يوماً، لا أعلم إن كنتِ صادقةً أنكِ لن تقرأي أحرفي أبداً، لكني أعلم حينها أنك تمزحين، لا بأس.. أعلمُ أنكِ قد اشتقتِ لي، وربما قد اشتقتِ أيضاً إلى كتاباتي، وأنا أيضاً فاض شوقي إليكِ، فقررتُ أن أصطحبك مرافقةً في رحلةِ أحرفي، كعادتي لا أكتب عن شيءٍ إلا بعد افتقاده

ومني إليكِ ألفَ سلام

أنا الزُنجِيُّ

كحال ذاك العجوز المغفل في معملنا الخشبي، الذي يأمرني أن لا أخرج إلا بعد إذنٍ منه، بحجة أنه مشرف، وما إن انهى محادثته تلك حتى دعيته خلفي واتجهت نحو الباب خارجاً، خرجت بلا سبب وأتيت، كنتُ في انتظاره أن ينطق بكلمة لأجاوبه بطريقتي المعتادة، لكنه لم يفعل، ربما قد قرأ في عيناي تلك النوايا،

ههه.. تبا لك أيها الأحمق، من أنت لتأمرني بما لا أهواهُ، ألا تدري من أنا، أسأل «أفريقيا" عني، وستخبرك بي تفصيلا

أنا الزنجي، أول شيطانٍ هبط إلى الأرض ووضع فيها قانون التمرّد والكبرياء، احذر أن تكرر فعلتك تلك، إن أصابتك لعنتي فلن تستطيع مقاومتها، الزنجي ليس فراشة أيها العصفور، الزنجي نسراً لا تعانده الرياح، أيما أراد سيفعل، وحيثما اتجه سيذهب

إن كنت تنتمي لعصابة "الياكوزا" فانا أنتمي لنسلِ الزنوج،

أشرسُ ما خُلِقَ على وجه الأرض من البشر

لا تتذاكى علي كثيرا يا بُني، من سمات المافيا أنها لا ترضخ للقوانين أياً كانت، ولا تؤمن بشيء يدعى الثقة، يمكنك تخيل الخيانة والغدر منها في أي لحظة ممكنة

وهذه هي اهم قوانيني وأسمى صفاتي وأول قواعد مملكتي، دكتاتورياً بنوايا كلَوْني، فقد أمضيتُ نصف عمري في تصفية من اقتربوا لمعرفتي، وربما سأمضي النصف الآخر في تفرقة أشلائك، ابتعد عني أنصحك

خربشة

ولعل ما يريحني أكثر عند غضبي، هو البوح بما في داخلي بين سطورٍ مبعثرةٍ، أو إخراجه في أحضان أمي، أو كتمه في نومٍ عميق،

ولأن الاثنان الأخيران أسهل بكثيرٍ، فهما ليسا متوفران الآن، لأني في «العمل» فلا مفر غير أن ارسم ضجّتي في هذه الأحرف، أود أن أحدثكم عن حادثتي اليوم، التي ألقيت فيها الكثير من أصدقائي الأوفياء خارج ذاكرتي، لأن محيط عقلي لا يتقبّل الحشرات، وأنا خلقت لأعيش سعيدا، لا لتحمّل مشقات الآخرين

نعم حقاً، هناك أناسٌ رائعون يستحقون كل البهاء، لكن عندما يتعلق الأمر بكرامتي.. فلا شيءَ يُدعى وفاء، وربما سأخسر الكثير منهم في هذه النقطة، لأني لست بحاجة إلى أصدقاءٍ تافهون، أنا وحدي أساوي الكثير، ووحدتي تساوي الأكثر منهم، ولو كان بإمكاني لتبرأت من الباقين

وأنتَ أولهم.. نعم أنت أولهم.. أتدري لماذا؟ لأنك أنت الأقرب إلى روحي، أنت الذي يمكنني أن أخبره جميع ما بداخلي في أحرف قليلة لا

تتجاوز الماتيْ صفحة، ولأني مصابٌ بداء فراقِ الأقربون، فلن أستطيع المكوث معك، سأفارقك وستفتقدني بعد هذه الصفحات، وترغب بأن تقرأ المزيد من أفكاري، تنتظر الكتاب القادم بكل شغف ورجاء، لكني لن أتجرأ بعدها حتى أن أذكرك، هكذا يفعل الكتاب يا عزيزي، لا يهتمون أبداً بمعتقدات قرائهم، يلوثون عقولهم، ويعبثون بمشاعرهم، ويتخلون عنهم فقط بعد آخر إصدار كتاب أو حفل توقيع، حتى عندما يلتقون بأحدهم في مكانٍ ما، يكتفون بابتسامة مزيفة كخيالهم لالتقاط صورةٍ لا تشبه أرواحهم تماماً كما تعتقد، فتلك الابتسامات التي تراها في أغلفة الكتب، لا تعني السعادة، بل أنها تعني إخفاء الكثير من المتاعب خلفها والمشقات، الكُتّاب هم أكثر الناس تعاسةً وبلاء

الحياةُ شيءٌ آخر

كل هذا سيمضي، كل هذه الشدائد والمشقات ستمضي، فالرّب لا يبتلينا إلا لخير، وكل ما يفعله المنّان هو حكمة لشيءٍ غامضٍ، يبين جوهره عندما تتهادى الأمور، وحتماً سنستفيد من ما ارتطمنا به مقبلا إن مرّ قاربنا به في المستقبل، وإن لم يمر، فسيكون قد كفانا الرب من استنشاق البلاء، هناك أشخاصٌ ربما نراهم أو سيكونوا رائعون في نظرنا أو ربما في ما نظن، لكن هم أكثر خبثاً من القذارة نفسها، الحياة ليست كما نتخيّلها دائما ببراءتنا النقية، الحياة شيءٌ آخر، لا يراه إلا من هزمته صواعقها المبيدة

ومن تألم كثيرا، دائما هو من يرى كل شيء بوضوح، والأغلبية من هذا النوع تجدهم كاتمين، صامتين دوماً هادئين، دائمي الابتسام، كثيرو الضحك في أكثر الأمور تفاهةً، لا يبالون بشيءٍ حيال راحتهم، يمكنهم أن يخسروا كل غالٍ من أجل أنفسهم، وعندما يُخطئُ أحدهم في حقهم، حينها لا تفيده الأعذار، سيُنفى من عالمهم رغم وجوده، وان سقط أحدٌ من نظرهم فالويلُ له، فإنهم لن يطيقوا بعدها حتى رؤية ظله، ولا يبالون إن كان سيتألم أو لا، فإنهم لا يهتمون بشعور البشر

هكذا سيبدون من صارعوا الحياة.. لا يدعون شيئاً يعيق مرادهم

غُربَةٌ بِلا طائل

نستيقظ في السابعة صباحا لنذهب إلى العمل، ونعود في الثامنة مساء لنرتاح من شقاء العمل، هكذا هي حياتنا هنا، عبارة عن عمل بلا أمل، غربةٌ بلا طائل، نشقى كثيرا، ولا نستطيع حتى دفع الفواتير أحياناً، نأسى هنا في غربةٍ ظننا أننا سنجد فيها ما يطيل فرحتنا، ومن جانبٍ آخر.. تكوينا الأشواق على من تركناهم خلفنا وافتقدناهم هنا بشدةٍ.. لا نعثر على شيء يخفف آلامنا، فنهرع إلى أغانينا المفضّلة التي طالما نستنشق منها عبير ذكراهم، عند سماعها تنهمرُ قلوبنا غيثا من الأحزان لم يسبق له مثيل، وتنزف كجبلٍ من الجليد علته الحرائق، تنهار بداخلنا دموعاً لا يراها إلانا، نخاطب بها من استباحوا إراقتها «أن افيقوا قليلا من ضلالتكم، فإن لنا مثلكم أرواحا لا تحتمل العناء»

حق الشهيد ما راح

لا للبكاء، فالدموع لن ترد قتيلا، ولا للغناء فالرثاء ليس رقصاً، والموسيقا لن تسلب حقوقاً، وأنا لستُ «كوز» فأنا مثلكم مواطنا أناضل من أجل وطني والشهداء، ولا أستريح حتى وان أقتل، فمن ماتوا لأجلنا يستحقون أكثر من أن نُقتل في سبيلهم

أماه لا تبكي الشهيد فإنه قد مات من أجل الوطن، جنان الخلد مرّحبةٌ به بلا وقت وبلا ثمن، فقط يرجوك الدعاء، ولا تغضبي مِن مَن قتلوه فسعادتك أغلى من أن يمتلكها الجبناء، ولا تقولي قد ضحّى بروحه عبثاً، فنحنُ هنا لنأخذ ثأر كل من ترك بصمةً لأجل الوطن

ربما

ربما كانت تلك الادعاءات مجرد كابوس مر بواقعنا في بحر الحياة الهائج ليثير في قواربنا أمواج الهلاك، نمضي الكثير من المسرحيات المرحة والطرقات المظلمة ونحن على علمٍ بأنّا لن نكملها، لكن ما الذي يجعلنا نسكلها؟ لا ندري. شيئاً ما قد يدفعنا إليها، نهلك أنفسنا في تساؤلاتٍ لا طائل منها، نفعل أشياءٌ لا ندرك ماهيتها، إذا أردنا أن نكون مختلفين في هذه الحياة المتشابهة، فلابد أن نقطن جانباً منفرداً منها، نبتعد عن ما يشوّهنا وإن كنا نظنه الأفضل

وبعض الأشياء التافهة الصغيرة التي لا نرى لها أثراً هي ما تغرقنا في الغباء أكثر، أعطيك مثالا عني: قبل سنةٍ من تاريخ هذا العام كنتُ بصحبةِ أصدقاءٍ أفضل مما قد التقيتُ بهم في غربتي، كنا نسكن في شقةٍ واحدة، نعمل معاً، ونخرج أحياناً إلى بعض النزهات معاً، كنا لا نفترق أبداً، شكلنا عائلة جديدةً لمدة سنتان في غربةٍ لا أحد يعرفنا فيها سوانا، لكن هناك شيءٌ سلبيٌ لم ألاحظه إلا بعد كل هذه المدة، الشيءَ الذي لاحظته، هو

أنني لم أتقدم أبدا، نعم آكل جيداً، وألبس نضيفا، لكن وبعد كل تلك الفترة أنا هو أنا، لم أضف شيئاً جديداً لحياتي غير الملابس والأحذية وبعضاً من الساعات، فقررت أن أبدو مختلفا، قررت أن أبتعد من هذه العائلة الدنيئة، فأول ما فعلته غيرتُ عملي، ومن ثم بدأتُ أُطور نفسي قليلا، لدي بعض الدفاتر والكتب القديمة التي ابتعدت عنها لمدة سنتان حتى كساها الغبار، أخرجتها وبدأتُ أستعيد سطور الكتابة فيها من جديد، وبعد مدةٍ وجيزة فكرت، قلت لماذا أنا أكتب فقط في هذه الدفاتر وأخبئها هنا، من يقرأها إذن؟ لماذا لم أشاركها مع الآخرين؟ استعدت وعيي من تلك التساؤلات واستيقظتُ في اليوم التالي ذهبت إلى المتجر اشترَيْتُ «لاب توب" وبدأت أكتب ما سطرته في دفاتري تلك حتى أصدرتُ أول كُتبي مع بداية سنةٍ جديدةٍ شهدت الكثير من نجاحاتي، وهكذا استمريتُ وصرتُ لا أملُّ أبداً من الكتابة وإن لم ألقى تقبّلا فيما أكتبه، فأنا أكتب لنفسي أوّلا، ومن ثم لمن أراد أن يقرأ، والآن أحتفلُ بكتابي الخامس، ولا أهتم حتى إن لم يقرأه أحد، فما يسعدني فقط تحوّلي من شخصٍ دنيءٍ لا يهتم بشيءٍ سوى بطنه وملبسه، إلى كاتبٍ ظلّ يرى كل ما في الكون من ثقافات، ويطوف العالم كل يومٍ عبر صفحات الكتب، ويرتشف كل صباحٍ فنجان قهوته مع كاتب جديد

أفتخر كثيراً بتغيّري من إنسانٍ كنت فقط أستمع كثير إلى "Diamond platnumz" رغم أني لا أفهم منه شيئاً، استمع إليه فقط لأجل شهرته وأستمتع برقصاته وأستريح لفتياته اللواتي يجلبهن للرقص في أغانيه، لكن إن سُئلتُ ما الذي يفيدك من هذا؟ لأجبتُ بكل صدقٍ وصراحةٍ: ضياعُ وقت. إلى شخصٍ أصبح الجميع يقرأه له ويفهمون ما يقصده

فنقطة تغيّرُك يا صديقي، تبدأُ من إرادتك، لا تكن ذو جانبٍ واحد، أنظر من كل الجهات، ربما قد لا يكون هذا هو مسارك الحقيقي، اجعل لنفسك شيئاً تفتخر به قادماً، اصنع لنفسك نجاحاً يحرق كل الخسارات التي ارتكبتها، غير طريقك إن كنت تراه غير مناسبا، أو موهبتك إن كنت تراها لن تدم، مثلا إن كنت كاتباً ولم تنجح، جرّب الرسم، ربما قد تصبح فنانا، وهكذا، ففي بعض الأحيان نفعل أشياءً كثيرة لا فائدة منها

ليس من الضرورة أن نستفيد من كل ما نفعل، لكن من الواجب أن نعرف لماذا نفعله، لذا اجعل من عمرك شطراً تعتز به قادما، لا تدع يومك يمضي هباء، انزع ثمارك منه فإنّها لن تصلُح للغدِ

أيها الوطن العزيز

تعلمت في غربتي ما هو الوطن حقاً، وتعلمت أيضاً أن أهلي ليسوا فقط أفراد عائلتي أو أُسَرُ قبيلتي، فإني كلما وجدت إنسانا ينتمي لوطني، أو يميل لون بشرته إلى لوني، أعتبره كأخي، وتعلمت أيضاً ان المباني الشاهقة ليست رائعة كما كنا نعتقد، فمساكننا الأرضية البسيطة، وأكواخ قريتنا الصغيرة أفضل منها بألف مرة، هناك أنت حر تفعل ما تريد، تجلس تحت أي شجرةٍ أعجبتك، تدخل أي بيتٍ مررت به إن أردت شيئاً، وكل صباحٍ تعلو أصوات جيرانك «صباح الخير، صباح النور» تشربون شاي الصباح في جلسةٍ واحدةٍ،

لكن هنا.. أنت داخل «شقتك» كالضبّ في جحره، لا أحد يلقي عليكَ سلاماً، ولا جارٌ يطرق بابك ويدعوك لفنجان قهوةٍ، وربما تقطن سنيناً دون معرفة من هو جارك

تباً.. كم الأمر مؤسفٌ هنا، ناطحات السحاب جميعها كالسحاب، بعيدة ولا إلفةَ فيها، سكانها لا يلتقون إلا في مدرجات السلم أو مصاعد الأصانصير.. تباً لتلك الثقافة البائدة

إن أفريقيا رغم جحيمها، فإنها الأفضل في الإخاء والمحبة

وسيبقى وطني هو الأرض المقدسة التي لن تطأها أقدام التدنيس أبداً، وهي التربة الوحيدة التي يحن قلبي إليها مهما لوّثها «بُمبَانُ" "القحاتة" فإنها تربةٌ مُزجتْ بأرواح الثوار، ونيلانِ خلقو من دموعِ الشهداء

"فلتدُم أنتَ أيها الوَطنُ"

مهما ابتعدتْ خطاي، مهما طالت غربتي، مهما توارت عنك ملامحي، سآتيكَ يوماً حاملا أشواقي لك، واضعاً جميع تلك الثقافات في قمامتها، ولن يكن لسواك ملجئاً أيها الوطن العزيز

أصدقائي البُله

لا شيءَ أغبى من أن يزداد عمرك وأنت ما زلت طفلا

كأصدقائي البُله الذين يُبلغونهم كل يوم «كأطفال الحضانة» بأن لا يتغيبوا عن العمل، ويوصونهم بأنهم مغتربين، ولم يأتوا من هناك لقضاء عطلةٍ صيفية، فلا يجب أن يناموا في مساكنهم بينما توجد فرصٌ للعمل، لكنهم أغبياء حقاً، وإن تحدثت معهم يقولون، «إن الله لم يأمر بالهلاك» ونسو قول النبي أن «اغتم فراغك قبل شغلك» لكنهم أرادوا أن يريحوا أنفسهم على طاعة شهواتهم، ونسوا أنّ النفس أمّارة بالسوء، حقاً سفهاء.. تباً لهم

أنت اغتربت، خرجت من هناك تاركاً خلفك وطنك وأهلك، لا لترتاح، بل لتشقى.. لتشقى من أجل أن تسعد، إن أردت الراحة فإنها تكمن في وسط عائلتك

لا أتفهّم لماذا أيما ذهبت يبتليني الله بزُمرَة من مثل هؤلاء الحمقى، لست أدري إن كان الرب يبتليني حقا، أم أني أيضاً مثلهم، يغضبون دائما عندما يوبخهم أحد المشرفين بأن لا

يكررون فعلتهم تلك، ويرددون في سرٍ بأنه يجب أن يمتلكون حريتهم، أي «لا شيء يقيدهم بالعمل» ونسوا أنهم غرباء

ما دمتَ غريباً، فأنتَ أسير، ولا طائل في أن تبحث عن الحرية وأنت خارج أراضيك، لن تكون حرا أبدا، وإن توهمت ذالك، فإنك ملزم القيود، لأنك أجنبي

الكروان

”خلي بالك، لأجل مالك، كلو جالك، مطرحك.

خلق عايزة، بنات ومزة، واقفة جاهزة، تطوعك.“

«الكروان»

أتدرى من هو الكروان؟ إن كنت تعرفه فعُد واقرأ هذه الكلمات بلحنها، وإن كنت لا تعرفه فاقطع هذه الصفحة واشرب بها دخانك المفضل، ومن ثم احترق، لكن قبل أن تفعل ذالك يجب أن تعرف شيئا، هو أنني أمزح.

أحياناً وفي كثير من الأوقات، ننتشي بالأغاني، ونتراقص على ألحانها، ونستمتع بها عندما نكون سعداء، لكن عندما يتملكنا الحزن ويعترينا الاكتئاب، فإننا نتأمل معانيها، ويحدُثُ أن تكرر استماع أغنيةٍ مراراً، فقط لأن هناك مقطعاً فيها يثير إعجابك، أو يعود بك إلى ذكرى أُناسٍ وأماكنٍ غلّفها الماضي في حقيبته

نرى أحيانا أن مطربو الأغاني الشعبية يقولون كلاماً تافها، وأنها

لا تصلح سوى للرقص، لكن إن تمعنت جيداً ستجد أن هناك رسالة أراد أن يضعها المغني على آذان المستمعين حتى تصل إلى أفكارهم، وبما أن الكثير ممن يستمعون إلى هذه الأغاني، هم مراهقون وحمقى، فإنهم يستمتعون بها فقط، ويجعلون منها حالات واتسابٍ لخلفيات صورهم، لا يتمعنون محتواها جيداً، ولأن الكثير من المغنين يرون أن الغناء رسالة، وليس فقط مهنة أو هواية لجلب المزيد من الأموال، فإنهم أرادو توصيلها بشتى الطرق، منهم من سار على النهج الكلاسيكي، ومنهم من اتخذ لغة الشوارع لتصل سريعاً للجهلاء، أولئك الذين لم يفتحوا الكتب يوماً، ولا يستطيعون حتى كتابة أسمائهم، وهذا المغني قد اتخذ هذا الطريق، وبه قد نال شعبية أكثر من البقية، وأنا لم أكتب عنه من أجل شعبيته، بل من أجل ما يقدّمه، وهذه الأغنية تُعدّ لدي من أجمل من استمعت له

تباً لكَ يا صمتي

الأشخاص في حياتي ك ظفر خنصر يدي اليسرى، أربيه كيفما أشاء وأقطعه وقتما شئت، وكعادتي عندما أتخطى شيئا لا ألتفت إليه مجددا، ولولا الصمت لخسرت الكثير من الرفاق، ولو لا أنهم اجتنبوه، لما بقوا على قيد الحياة، لكنه الحاجز الوحيد الذي يوهمني بأن رفاقي رائعون، تباً لكَ يا صمتي، فقد أدَمْتَ ليَ التافهون.

لا تكن أبلهاً

لكل منا شيطانه الخاص، ووحوشه المختلفة، لكن أنا ليست لديّ أيٌّ من هذه الأشياء، أنا بداخلي مدينةُ شياطين، وغابة أشباحٍ، وعصاباتٌ من الجنون الهائجة، أنا إنسانا مختلفاً بكثير عن البشر وبقية المخلوقات، يمكنك أن تجد في داخلي أفظع ما كنت تخشاه، وأجمل من ما كنت تتمناه، لكني لن أعطي ذاك عبثاً، أو مجاناً، ولن أُغرض بشراً ما لم آخذ منه مقابلا

أتدري؟

أنا لست بخيلا، لكني محافظاً على حقوقي أكثر من كل شيءٍ، فليس من العدل أن أهدي شخصاً تافهاً مثلك شيئاً أعظم من قدره

وحتى أحرفي هذه لم أهديها لأحدٍ لأني دفعت الكثير حتى صارت كتابا

لذا لا تكن أبلهاً، وتترجى الخير من البشر، بل أطلبه مِن مَن أعطى البشر هدنة

وبعدها عدنا، لنحرق هذا الكوكب من جديد، لنعبث بالبشر ما نريد، ومن ثم نرحل لنعيش مع الحيوانات حتى نرى لطفهم، أو نرحل إلى كوكبٍ فضائي آخر، فقد مللنا من مشاهدة الكائنات الفضائية، أو لنعيش مع الشياطين إن أمكن، نرغب في رؤيتهم، فقد يئسنا من الحديث عنهم وسوء الظن بهم

عدنا بعد هدوءٍ طال كثيراً لنشوي هذا الكون مرة أخرى من جديد، نريد أن نرى البشر يشتوون من أسواءهم، نريد أن نسمع آهاتهم ونستمتع بروائح جثثهم المُحترقة، ثم ندعو النادلات ونقيم مأتماً في صوامعهم نمجّد فيه الفودكا والنبيذ، ونتراقص معاً على موسيقي ديجي walkar ليس لنشوّه سمعتهم، لكن لنعلن عن وفاتهم بطريقة أكثر قذراة من ما كانوا عليه، ولنتمنى لهم جحيما ساحقا في الدار الأخرى كما أبادونا، نحن لسنا سيئون لتلكم الدرجة، لكن أبناء العاهرات من أورثونا تلك الصفة.. تباً لهم، لن نخونهم ولن ننسى ما أكرمونا به، سنبيح دماءهم ونأخذ نساءهم إماءً لنا ونسقط لعنتنا على ما يتوارث من أجيالهم

اللعنة عليهم

الكئيب

يبدو وكأنه قد التقط أشياء مظلمة من ثقوب أشجانه المسمّمة كالمغوار، المتراصّة كالطوابق، المرتعدة كالقاتل، الهادئةَ كالمقتولِ، الطاغيةَ كالجبروت، البليّة كالعلقم

يُرى أنه قد نقش إحدى بلاياه المتعددة المتعذبة في ذاته المتكررة بحميمها، الموقودةُ في قرطاس ذكراه يكاد قلبه يبتلّ من الدمع بعد أن غرقت وسادته، ترغمه نفسه بالانتحار في غرفته الضيقة التي تملأها الذكريات من كل الزوايا

خرج من تهوّرات ذكراه وبدأ يفكر في كيفيةِ أن ينتحر، وبعد قليل من الصمتِ خرج وأتى بأنبوبة غازٍ ممتلئة لينفجر بها مع بقايا تواريخ ماضيه، لكنه لم يجد كبريتا تذكر أنها آخر «قشة» وشرب بها آخر سجائره، ثم بدأ يفكر مرة أخرى، قطع قطعة من عمامةِ أبيهِ التي أهداها له قبل رحيله ببضع ساعات في المشفَى، أراد أن يُعلقها ليشنق نفسه بها، لكنه لم يجد شيئا يطيل به سقف غرفته، وهكذا يفكر ويحاول إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل، جلس أخيراً أمام صورةٍ تجمع الكثير من الأشخاص

تبدو وكأنها عائلته أو أن كُتلةً لصورِ مَن فارقوه، جلس يتأملها بهدوء وترثيها عيناه بأدمعٍ كُتب على مجراها «أعزائي"

مضى الكثير من الوقت وهو يتأمل تلك الصورة وكأنّه يقرأها ويردّدها مراراً وتكراراً

لكنها رغم حِنّيَّتِها لم تملئ فراغ الوجعِ الذي أحدَثتهُ بخاطره

فجأةً ثارَ.. نهض من مكانه وصاح بصرخةٍ جحِيميةٍ اهتزت منها جميع أركان غرفتهِ

لقد عاودته فكرة الانتحار مجدداً

لكنه قبل أن يفكر قرّر أن يُشعل سيجارة ليموت سعيداً على الأقل.. أمسك الكبريت بيده ثم تذكَّر أنه كان يبحثُ عنه، رَمى سجارته بعيدا وأشعل الكبريت في الهواء لينفجر.. لكن ماذا.. لقد فرغ الغاز حتى ضاعت رائحته، نهض إلى الأنبوبةِ ليجدها فارغةً وخرطومها لا يُسرب شيئا

عاد يبحث عن السكين التي قطع بها العمامة ليقُصّ وريده، فلم يجدها

صاح يصرخ ببعض تمتمة ويقول.. ما هذا يا بشر، حتى في

الموت يهربُ مني القدر.. من أنا إذا أملكُ الموتِ أنا.؟؟. ألن أمُت أبداً؟..

ثم هدأ قليلا وارتمىٰ يبكى ويلعن نفسه حتى أخذته نوبة نومٍ.. استيقظ في اليوم التالي وأصبح يلعن ويلوم عقليته ما الذي فعتليه بالأمس، ماذا إذا انتحرتُ إذاً..؟.. هل سأكسبُ قضيتي أمام الرّب براءةً..؟؟.. ما أقول له إذا..؟ هل أخبره بأني كنتُ يائساً من حياتي؟؟

تباً لكِ يا نفسُ، دوماً تقودِ المرءُ إلى الندم

أراد أن يطيع شهوته، لكن وضع القدر حاجزاً بينهما

أراد الموت لنفسه، لكن الله يعلم ما يفعله بعباده

السنينُ البيضاءُ والسّوداء

«إن لم ينضبط المَرءُ جيّداً في سلوكه، فالمعنى أنه يتعاطى الرّذيلة»

"دوستويفيسكي"

لا تبتئس أو تسخر من شخصٍ تافهٍ أو صعلوكٍ لا يعرفُ القراءة ولا الكتابة إن قال لك أنه يعرفني، وعاش معي شخصياً، ربما قد يكون صادقاً، لأن جميع أصدقائي القُدامى «الأوساط» هم من الذين لا يفقهون للعلم شيئاً، في بداية مشواري لم أتشبث بالكُتّاب أو القُرّاء كثيراً، لأني قررتُ أن أمكث في مجتمعي وأخرج منه شيئاً مختلف، فقد كنتُ مثلهم صعلوكاً بائساً شقياً لا أدرك للحياة معنى، كنتُ أظن أن الحياة أكلٌ وشرابٌ، ولبسٌ وجنسٌ، وسُكْرٌ ونوم، حتى العبادة حينها لم أُلقي لها اهتماما، فقط ما يهمني مضاجعة العاهراتِ، وكتابة بعض الأشعار الغزلية لأغري بها صديقاتي البريئات. بيْدَ أنّي لا أعرف عن الشعر شيئاً، وحتى الآن لا أعرفُ عنه الكثير، لكني عرفتُ في ماذا يجب أن يُكتَب.

كنتُ أشعر أني أعيشُ في حريةٍ مُطلقة، في حين كان حالي أشبه بما يُسَمّى «تشرُّدْ»

كنتُ شبيهاً برفاقي، غير أنّي أعرفُ الكتابة والقراءةِ، وأكتب الشّعر أحياناً، هذا ما يجعلني أشعر وكأني شيطاناً بين الكثير من الأشباح، لقد نسيتُ كل حياتي الماضية، ثلاث سنواتٍ مع بضع علبِ سجائرٍ وزجاجاتُ خمرٍ محت كل حياتي الماضية، حيثُ كنتُ شيخاً دينياً مؤذّناً أحياناً وأحياناً إماما، حيثُ تلك السنين التي قضيتها في إحدى «الخلاوي» في شقاءٍ وسعادةٍ حتى حفظتُ القرءان الكريم، حيثُ الكتابة في «الألواحِ»،(ما كنتُ أعرفُ الدفاتر حينها ولا كتب الشعرِ ولا حتى الرّوايات) وأوقاتُ القراءة المنتظمة (الدُّغشيّةِ، والضحويّةِ والظُهرية، والعَصريّةِ، والبرَكةِ، والمَغربيةِ، والسُّبُعْ) حيثُ تلكَ التفاصيلُ الصغيرة (الفَزعة، العُواسة، التلاوة) وغيرها من الأشياء التي هرعت إليها ذاكرتي، حيثُ الأصدقاء الأتقياء، والزُملاء الأنقياء، والرفاق الصالحون

لم أكن أعرف منذ أن نشأتُ في تلكَ البيئةِ القُرءانيةِ أن هناك شخصاً لا يعرفُ الكتابةِ حتى اصطدمتُ بهم هنا، لقد فقدتُ بغتةً كل تلك الأشياء الجَميلةَ ولم أعد حتى أتذكّرها، في ذاك الحين كنتُ لا أخطو إلى سفرٍ إلا أخذتُ في حقيبتي «مصلايتي" و "المُصحف" لكن الآن... صرتُ لا أهتم بشيءٍ إن نويتُ السّفر إلا تفقّدُ "زنادي" وشراء المَزيد من علب "السجائر" تباً.. يا لي من مُغفّل.

قديماً عندما صغاراً، كُنا نسمعُ أن هناك عاصياً تاب إلى الله وصار شيخاً، وأن كافراً اعتنق الإسلام وأصبح داعيةً، لكننا لم نسمع قصةَ داعيةً كفّ عن الدين وأمسى فاجراً، حتى بدأ تسجيلها في التاريخ بنا، تباً يا لنا من ساقطين

صرتُ في حالتي تلك ما بينَ مجونٍ وجنونٍ حتى يوماً ما.. بعد ما أن طُردنا من «شُقتنا» بتُهمةِ أنّ أحداً منا قام بسرقةِ الجيران، كان ذالك في الشتاء. فاستأجرنا» شقةً» أُخرى في الطابق الخامس تطلُ على باب المسجد

وفي يومٍ ما وفجرُ الثلاثاء كان، سمعتُ صوتاً لقارئٍ ذكرني بصديقٍ لي في تلكَ السنوات البيضاء يُدعى «كاشف» كان الأقرب من أصدقائي، والأقوى علاقةً بأخي، وصوتُ ذاك القارئ كان يأتي من المسجد الذي تطل عليه شقتنا، وفي صلاة الفجر كان، وأنا ممتداً في سريري، يقظاً كنتُ، لكني كنتُ أرى أن ما بيني وبين المسجد كما بيني وبين تلك السّنوات، ما كنتُ أصّلي، لكن عندما تذُق ساعة العمل تجدني في الشركة قبل الوقت بعشرين دقيقة. راقبتُ الصوتَ حتى تلى قوله تعالى "كُلُ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إلاّ أَصْحَابَ ٱلْيَمِينِ، فِى جَنّاتٍ يَتَسَآءَلُونَ، عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ، مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ، قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ) فانتفضتُ نفضَةً فُجائيّةٍ وكأنّ أحداً ما دفعَني من تحتِ السّرير، علتْ دقاتُ قلبي بعد أن سمِعتُ هذه الآية الأخيرة، انتابتني صرعةٌ في إدراكها وكأنّي أسمعها لأوّل مرةٍ في حياتي

تَمعنتُها جيّداً واستحضرتُ على إثرها جميع ذكرياتي القديمة، قارنتُ بما كنتُ وما صرتُ، فحمدتُ ربي على أنّه لم يَخسفْ الأرض بي وأنّه ما زال يرزقني.

منذُ ذاك الحين غيّرتُ حالي، واستبدلتُ صُحبَتي بآخرين، وأقسَمتُ أن لا أَعود فيما قد كنتُ عليه، لم أصل إلى درجةِ تلكَ السنواتُ القديمة البيضاء، لكني تَقرّبتُ منها.

وها أنا الآن.. كنتُ داعياً.. وصرتُ سافلا. ثم أصبحتُ اليومَ كاتباً أخطُّ تجربتي فيما قد يُقالُ "حرّيةْ»، حروفي هذه ليست قصةٌ خرافيةٌ أنتقدُ بها الادّعاءات، وإنّما واقعاً عشتهُ وسطّرته اليوم بحبرٍ من الصّدقِ في ورقٍ من النّدمِ، ليسجله التاريخُ غداً في كتاب «العِبَرِ» لمن أراد أن يعتنق «الحُرّيةَ» طاعةً لشهواته، فالحُرّيةُ بلا رُشدٍ تتسبب في الكثير من الخُسران والبوار، وإن كثيراً من الأشياء إن لم نتقيّد بها، لا نتذوق لها طعما"

شكر وإهداء

الشكر لأستاذتي «سلمى» مرشدتي الأولى لمعرفة القلم، ولأخي "جبريل" الذي بذل مجهوداً أكثر ما يُمكن لتعليمي.. لكني تمرّدتُ، لجميع من ساندني ووقف بجانبي ومن أضاف لذهني قطراتُ فكرٍ لونتُ بها أبجدية أحرفي، وشكر خاص لسحابتي السمراء.. التي دائما ما ترافقني في رحلات قلمي.

أما الإهداء فإلى "أمي وأبي" اللّذيْنِ تمنّيا دوماً أن أصبح شيئاً مُختلفاً يُفتخَرُ به أمام الجميع..

إلى روح «2pac» الزُنجيُّ الذي لم يستسلم حتى للموت.. فغدر الموتُ به

إلى كل من قرأ هذه الأحرف

ومن ثم إهداءٌ خاصٌّ لها «سماح" تعرفونها جيداً.. تلكَ الزهرةُ السمراء التي اعتادت دائما أن تَنبت في أول سطور صفحاتي.. إلَيكِ هذا الكتابُ هدّيةٌ.. فتقبّليه.

إلى «إنجاك» وكاميراته التي أختبئُ منها لأسطر يومياتي

«إلى الأيام الغوالي بالقاهرة أعوام ٢٠١٩،٢٠٢٠،٢٠٢١،٢٠٢٢»

ختاماً

كل ما في هذه السطور من رؤية واقعي، وقليلها من وحيُ خيالي، ويبدو أننا قد وصلنا إلى خواتيم هذا الجزء من الكتاب، فلا تنسى أن تطلعني على رأيك فيه عبر صفحاتي على... فيسبوك.. تويتر.. انستجرام

خالص تحياتي.. مصطفى نمر.

تم في ١٢ / ١٢ / ٢٠٢١

الفهرس

مقدمة..... 7
الفصل الأول 8
عالَمي 10
"الزنجي اللعين" 12
أو تعلمين 16
عاهرة..... 18
سقوط..... 19
أبي من صنع مني رجلا..... 21
الأسطورة 26
تباً..... 28
السمبك..... 30
ترياق..... 34
لن أعود..... 37
تمرّد..... 40
أترافقني إليها؟.. 42
صديقيَ السفيه..... 45
أفريكَاا..... 48
مسافة..... 49

رحيل..... 53
طوفان..... 55
الفصل الثاني..... 57
الماضي..... 58
أحد أصدقائي..... 59
أحياناً 62
تباً لكم 63
كُن صابراً..... 64
وهطلت الذكريات 66
كن وحيداً..... 68
أوّاهُ يا نفسي 69
الحب للحَمقى..... 70
اضطرابات..... 71
لا تيأَسْ..... 73
كاسياتٌ عارياتٌ..... 77
احذر أنصحك..... 80
فلْنفترق..... 84
دمار الآونة الأخيرة 85
خُزعبلات واقعية..... 86
الحصة وطن 89

حُلم 90
عقلٌ راشدٌ..... 94
لتفقدني الأمل..... 96
أقدارنا تشبه أرواحنا..... 97
الفصل الثالث 104
مدخل 105
حب 106
تأَمُّلْ..... 108
أو ربما سأرحل.! 109
الأشواق 110
أتذكرين..... 111
رسالة..... 114
الأفضلُ والأسوأ..... 115
إلاكِ..... 117
لحظة الميلاد..... 119
طلاسم..... 123
أُحبكِ أمي..... 124
الفصل الرابع..... 126
انتقامُ وغدٍ..... 128
كذبتي 132

أُغنية 135
بعض الأخطاء.. صوابٌ 138
تجنب الحب 142
أمي 143
مِنّةْ 144
أنا الزُنجِيُّ 146
خربشة 148
الحياةُ شيءٌ آخر 150
غُربَةٌ بِلا طائل 152
حق الشهيد ما راح 153
ربما 154
أيها الوطن العزيز 157
أصدقائي البُله 159
الكروان 161
تباً لكَ يا صمتي 163
لا تكن أبلهاً 164
الكئيب 166
السنينُ البيضاءُ والسّوداء 169
شكر وإهداء 174
ختاماً 175

writer
operation

كم لديك من السطور الجميلة التى اخذت
منك الكثير من المجهود و الاعتناء
لكى تكون افضل ما يمكن
لكى تعبر بها عن شعور داخلى
لم تستطع ان تشاركه مع احد غيرك
مهما كانت سطورك
قصص .. روايات .. اشعار .. مقالات
باللغة
العربية او الإنجليزية او الفرنسية

تواصل معنا
لتشارك سطورك مع العالم

01122380443

writer
operation
شارك
سطورك
مع العالم
SCAN ME